



روايات مصرية للجيب -

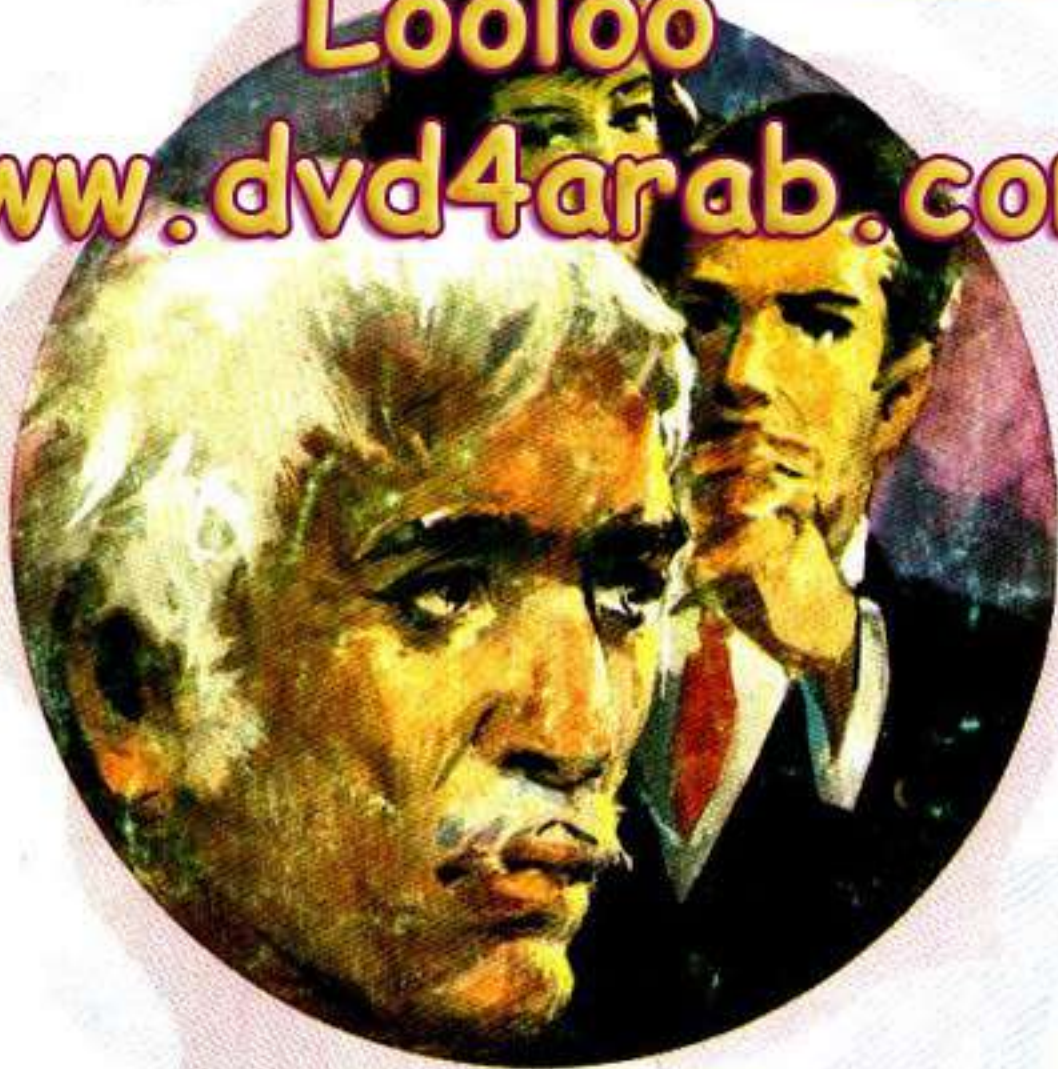
أبي الحبيب

زهور

٤٢

Looloo

www.dvd4arab.com



شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

بناية الجيزة - حي الجيزة - القاهرة - ١١٨٤٢٠٠

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن
الأنانية والرغبات والشهوات ، هو أعظم شئ خلقه الله فى
هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية
والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا ..
نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق
عبرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..
وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل
من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال الشاعر ..
ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ — عودة الغائب ..

أمسك (وجدى) سماعة الهاتف ، وقال فى صوت يحمل
أشد نبرات الضيق :

— حفلة .. أية حفلة ؟ .. أنت تعرفين أن وقتى ضيق للغاية
يا (نجلاء) .. ولا أملك ما يسمح لى بالذهاب إلى أعياد
الميلاد ..

نعم .. أعرف أننى وعدت بالذهاب ، ولكننى مشغول
ل للغاية .. لدى بعض الأعمال الهامة ، ستحتاج منى إلى البقاء
فى مكتبى ، حتى ساعة متأخرة من الليل ..
لا .. لا يمكن تأجيلها ..

— من فضلك يا (نجلاء) ، خذى أنت الولد معك إلى هذا
الحفل ، واعتذرى لـ (سميحة) هانم وزوجها بالنيابة عنى ،
وإذا وجدت أمامى فسحة من الوقت ، فسوف ألق بكما
هناك .

وأعاد سماعة الهاتف ، وهو يزفر قائلاً :

— تباً لهذه المناسبات والمجاملات الفارغة .. ألا تنتهى أبداً ؟

إنه لا يفيض شيئاً في هذه الدنيا ، قدر بغضه لتلك الحفلات والدعوات ، التي تأتي إليه من آن لآخر ، بمناسبة وبدون مناسبة ..

عيد ميلاد ابنة (سميحة) هانم .. عيد زواج فلان وفلانة .. دعوة للغداء هنا ، ودعوة للعشاء هناك .. وحضور حفل افتتاح لإحدى المصانع الجديدة ، أو حتى متجر صغير للملابس .. وهو مضطر دائماً للمجاملة ، والابتسام ، والتظاهر بالمرح واللفظ مع من يدعونه أو يدعوه ، مستسلماً لحالة متكررة من النفاق الاجتماعي السقيم ..

ولكن ماذا يفعل ؟ .. إنه شخصية مرموقة في (بورسعيد) ، وعلاقاته الاجتماعية تدخل كجزء من طبيعة عمله ، وعلاقاته برجال الأعمال والتجار في المدينة ، ومصنع الزجاج والبلور ، الذي يمتلكه ، يدخل في منافسة شديدة ، مع عدد من المصانع الأخرى ، المنتشرة في مناطق مختلفة من الجمهورية ، وعلى الرغم من جودة إنتاجه العالية ، التي دفعت به إلى التوسع في التصدير إلى الأسواق الخارجية ، بعد أن اكتسب شهرة لا بأس بها في الأسواق الداخلية ، وأصبح مصنعه

* * * * *

واحداً من أكبر مصانع الزجاج والكريستال في (مصر) ، إلا أنه لا يستطيع أن يتجاهل قيمة العلاقات الشخصية ، والمجاملات الاجتماعية ، والدور الذي تلعبه في تعزيز نجاحه كرجل أعمال ، فضلاً عن تأهبه لترشيح نفسه عضواً في المجلس المحلي للمدينة ، وما يطمح إليه مستقبلاً من أن يكون عضواً في مجلس الشعب ، وهو طموح سياسي طالما حلم به ، منذ كان طالباً في الجامعة ، وربما بما يتجاوز كثيراً طموحه المادي ، الذي حققه عن طريق مؤسسة الصناعات الزجاجية ، التي أصبح يمتلكها ..

لقد حققت الحياة لـ (وجدى) الكثير من الآمال والأحلام التي تمنّاها ، فقد تمكن بكذبه وعرقه وكفاحه لسنوات طويلة ، في أثناء الدراسة وبعدها ، من تحويل مصنع الزجاج الصغير ، الذي يملكه خاله في بورسعيد ، إلى مؤسسة صناعية كبيرة .. وعندما توفي خاله ، تاركاً هذا المصنع ، باعتباره وريثه الوحيد ، هو وأخته (هالة) ، كان (وجدى) قد نجح في القفز بهذا المصنع قفزات هائلة ، بفضل ذكائه وروحه المتقدة في العمل ، والسعى وراء مواطن النجاح .

وعزز هذا النجاح المادي بمكانة اجتماعية مرموقة ، عندما اقترن بـ (نجلاء نور الدين) ، ابنة (نور الدين عزمى) ،

* * * * *

محافظ بورسعيد السابق ، وهو بدوره من أسرة ذائعة الصيت ، ذات جذور عريقة ، وعلى الرغم من أنه لم يعيش قصة حب حقيقية مع زوجته قبل الزواج ، إلا أن هذا الحب سرعان ما وجد طريقه بينهما بعد زواجهما ، الذى دام حتى الآن عشر سنوات كاملة ، قُربت كثيراً بين أفكارهما وطباعهما ، وازداد التفاهم بينهما ، على الرغم من بعض الصعوبات ، التى حالت دون ذلك فى البداية ، فقد ظلت هناك عقدة تحكم (وجدى) فى علاقته بزوجه ، على الرغم من ثرائه المادى الكبير ، وهى إحساسه دوماً بأنها تتميز عليه اجتماعياً وطبقياً بحكم النشأة ، وربما يرجع ذلك إلى نشأته الأولى ، التى كانت تتميز باليتم والفقر ، وألوان عديدة من المهانة والحرمان ، طالما حاول نسيانها واقتلاعها من جذور ذكرياته دون جدوى ، فقد ظلت ذكرى هذه الأيام المريرة والكريمة فى نفسه باقية ، وتشكل جزءاً من إصراره على النجاح والثراء ومعاداة الفقر ، والتمرد على كل ما عاشه فى طفولته وصباه ، وعلى الرغم من أن (نجلاء) لم تحاول أبداً أن تظهر له هذا التميز ، إلا إذا حدث ذلك عرضاً أو دون قصد ، إلا أن هذا كان يثيره دائماً ،

ويحاول تعويضه عن طريق التباهى بعصاميته ونجاحه المادى أحياناً ، وأحياناً أخرى بالقسوة والغلظة فى معاملتها تعويضاً عن ذلك الإحساس .. وقد أدى ذلك إلى مشاكل عديدة فى حياتهما فى البداية ، كادت تقودهما ذات يوم إلى الطلاق .

لكن سرعان ما تراجعاً عن هذه الفكرة ، عندما تبينا هولها بالنسبة لهما .. فعلى الرغم من كل شيء ، إلا أن أحدهما لم يكن يستطيع أن يستغنى عن الآخر ..

وهكذا وطدا نفسيهما على احتواء هذه الأزمات ، التى تنشأ بينهما من آن لآخر ، بالعمل على تحقيق المزيد من التقارب النفسى والتفاهم بينهما ، وأصبحت (نجلاء) من ناحيتها حريصة على عدم تحريك هذه العقدة النفسية ، التى تحكم (وجدى) ، وتخرجه عن طبيعته المألوفة أحياناً ، وأصبح (وجدى) أيضاً أكثر حرصاً على عدم الانسياق وراء هذه العقدة الدفينة .

وأنعم الله عليهما بطفل جميل ، عزز هذا الحب والتقارب ، الذى جمع بينهما ، ولم يعد باقياً من طموحاته وأحلامه القديمة سوى ذلك المستقبل السياسى ، الذى أعد نفسه له .. وعلى الرغم من أن رجل المال والصناعة لا يجذب كثيراً الانخراط فى

العمل السياسى — فلكل منهما مجاله — إلا أن (وجدى) كان يحلم دائماً بأن يستأثر بالاثنتين .. لقد آلى على نفسه — منذ الصغر — أن يحوز كل أسباب القوة والثراء ، وكان يرى فى العمل السياسى ما يمنحه القوة والنفوذ ، اللذين يسعى إليهما .. ومع كل ما حققه من ثراء مادى ، ومركز اجتماعى ممتاز ، ونفوذ فعلى فى مدينة (بورسعيد) ، إلا أنه لم يتراجع عن طموحه السياسى أبداً ..

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً ببضع دقائق ، وكان (وجدى) قد بذل جهداً كبيراً فى إنهاء عدد من الأعمال الهامة ، الخاصة بالمؤسسة ، وبعد انصراف عدد من الأشخاص من مكتبه ، قام بإجراء اتصال هاتفى أخير بإحدى الشركات ، التى يتعامل معها ، ثم استرخى فى مقعده ، وقد أخذ منه التعب مبلغه ، ونظر فى ساعته وهو فى حالة من الخمول ..

كان الوقت ما زال كافياً ، ويسمح له بحضور حفل عيد الميلاد ، لكنه بالإضافة إلى عدم رغبته فى حضور هذا الحفل منذ البداية ، كان مرهقاً ، وغير قادر على ممارسة تلك الانجاملات ، التى طالما اضطرته الظروف إلى القيام بها ..

إن أقصى ما يستطيع عمله الآن ، هو أن يتسلل بسيارته

إلى المنزل ، لينعم بحمام دافئ ، ثم يدرس نفسه فى الفراش ، منتهزاً خلوة المنزل من (نجلاء) و (وائل) ابنه ، فلو أتيح لهما أن يلتقيا به ، قبل أن يستغرق فى النوم ، فإنه لن ينجو من تأنيب (نجلاء) له ، لعدم حضوره معها إلى الحفل كما وعد ، كما سيكون مضطراً إلى تلك المداعبات والروايات ، التى يحكيها لـ (وائل) قبل نومه ، كما عودته ، وهو غير مهياً لذلك الآن .. وبالفعل نهض (وجدى) من مقعده ، مقاوماً حالة الاسترخاء التى تمتلكه ، ليصلح من رباط عنقه ، ثم تناول سترته من فوق المشجب ، استعداداً لمغادرة المكتب ، لكنه سمع عدة طرقات على الباب ، قبل أن يتيهاً للانصراف ، ووجد سكرتيرته تدلف إلى الداخل ، وعلى وجهها بعض علامات الانزعاج ، وهمست له قائلة :

— هناك شخص يطلب مقابلتك بالبحاح يا (وجدى)

بك .

وسألها قائلاً :

— من هو ؟

وأجابته قائلة :

— لقد رفض ذكر اسمه .

نظر إليها بدهشة ، قائلاً :

— حسنًا .. وما الذى يدعوك إلى الانزعاج هكذا ؟

ترددت قليلاً ، قبل أن تقول :

— إنه يرتدى ملابس رثة ، وتبدو عليه معالم الشر والقسوة ، برغم تقدمه فى العمر ، ولقد صاح فى بطريقة خشنة ، وتبأ لى فى لحظة أنه سيقوم بصفعى ، عندما أصررت على عدم السماح له بمقابلتك ، دون موعد سابق ، ودون أن يوضح لى اسمه ، وهدفه من المقابلة ، ولم أجد بداً من التظاهر باستئذانك ، قبل السماح له بالدخول ، لكى أبلغك الأمر .. هل تحب أن أطلب الأمن ؟

سألها (وجدى) :

— ربما كان أحد أهالى المدينة .

قالت سكرتيرته فى ثقة :

— كلا .. إنه يبدو غريباً .. ولهجته أيضاً لا تدل على أنه

من أبناء (بورسعيد) .

وجدى :

— حسنًا .. دعيه يدخل .

وترددت قائلة :

* * * * * ١٢ * * * * *

— ولكن يا أستاذ (وجدى) .

أوما برأسه قائلاً :

— قلت لك دعيه يدخل .

نظرت إليه ومعالم التردد واضحة على وجهها ، وهى تقول مستسلمة :

— حسنًا .. هل أرسل لك أحد رجال الأمن ؟

— قال لها (وجدى) ، وهو يعود إلى مقعده وراء المكتب :

— لا .. لا داعى لذلك .. إذا احتجت أحداً من الأمن فساطلبه بنفسى .

وغادرت السكرتيرة المكتب ، وهى ما زالت قلقة .

وبعد قليل فتح باب الغرفة ، ليدلف منه أحد الأشخاص ، حيث وقف فى منتصف الغرفة ، ليقول بصوت واهن ، ولكنه لا يخلو من الحشونة والحماس :

— أوحشتى يا (وجدى) .

كان الرجل يرتدى ملابس رثة للغاية ، وتكشف ملامح وجهه المترهلة ، وشعره الأبيض ، عن تجاوزه الستين من العمر بيضع سنوات ، وإن بدا بقامته المديدة وصلابة عوده ، محتفظاً بشيء من بقايا الشباب الراحل ..

* * * * * ١٣ * * * * *

وأحسن (وجدى) برجفة تسرى في جميع أجزاء جسده .
لدى رؤيته لذلك الشخص ، برغم عدم تعرفه ؛ لكن شيئاً ما
جعله يرتجف ، وهو يرى هذا الرجل الطاعن في السن يقترب
منه ، ويتحدث إليه على هذا النحو ، وأخذ يحدّق فيه بتمعّن ،
دون أن يتحرك من فوق مقعده ..

كان شعوراً غريباً ، ذلك الذى تملكه ، عندما وجد هذا
الرجل يقف أمامه مباشرة .. شعوراً بالخوف والرغبة
والاضطراب فى آن واحد ، ونظر إليه الرجل قائلاً :

— (وجدى) .. ألا تعرفنى ؟

وبدت له هذه الجملة الأخيرة كما لو كانت تبعث إليه بنداء
خفى ، وتدفعه دفعاً نحو ذلك الرجل ، بالرغم من مخاوفه منه ..
نعم إنه يذكر بعضاً من هذه الملامح ، ويعرف ذلك الصوت ،
برغم ما أضفته عليه السنوات من تغيرات ..

لقد بدا له ذلك الصوت وكأنه يأتى إليه من ماضٍ سحيق ،
طالما جاول أن ينساه .

وعاد الرجل يقول :

— (وجدى) إننى والدك .. هل نسيته ؟

ظل (وجدى) جامداً فى مكانه ، وهو يحدّق فيه متأملاً ..
نعم .. إنه والده .. لقد أحسن بذلك منذ أن رآه .. وكيف يتسنى

له أن ينساه ، وهو الذى حاول دائماً أن يمحوه من ذاكرته ،
ومن حياته ؟ ..

وكيف يتسنى له أن ينسى الرجل ، الذى ذاق معه وبسببه
شقاء الطفولة ومرارة الصبا ؟ ..

كيف يتسنى له أن ينسى ذلك الرجل ، الذى تسبب فى
عذاب أمه وآلامها ..

الأم التى أحبها أكثر من أى شيء آخر فى حياته ، والمرّة
الوحيدة التى بكى من أجلها فى طفولته وصباه ورجولته ..
أمه التى رحلت عن هذه الدنيا ، دون أن تفارقها تلك
النظرة الحزينة البائسة ، التى طالما حاول أن يمحوها من عينيها ،
والتي طالما حاولت أن تخفيها عنه وعن أخته ، والتي كان يعرف
نجيذا أنها من آثار الماضى ، الذى خلفه أبوه فى حياتها ، والتي
لم يستطع بكل ثرائه ، وبكل ما حاول أن يقدمه لها من مباهج
الدنيا ، أن يمحوها من عينيها الصافيتين الحنونتين ..

ترى ما الذى بعث هذا الرجل من جديد فى حياته ؟ .. ولماذا
لم يبق قابلاً فى غياهب الماضى ، الذى يحاول أن ينساه ؟ ..
ما الذى أتى به (منصور الدهشورى) هذه الليلة إلى
مكتبه ، بعد خمسة وعشرين عاماً ، لم يره خلالها مرة واحدة ؟
لماذا ؟

٢ — مرارة السنين ..

تراجعت لهفة الأب ، أمام نظرات ابنه الجامدة ، وتعبير وجهه الصامت ، ولكنه بقي محتفظاً بنظرة الشوق في عينيه ، وقال له (وجدى) ، دون أن يتخلى عن جهوده ، في لهجة قاسية :

— لقد ظننا أنك قد مت .

قال الأب ، دون أن يعبا بما فى نبرات ابنه من قسوة :

— ولكنى كما ترى ، هأنذا ما زلت حياً أمام عينيك . ظل ذلك التعبير الجاف مرتسماً على وجه الابن ، وهو يقول :

— وما الذى جعلك تتذكرنى ، بعد كل هذه السنوات الطوال ؟

اصطنع الأب ابتسامة باهتة على وجهه ، وهو يقول :

— ومن قال إننى قد نسيتك ؟ .. إنك لم تغب عن بالى ، أنت وأختك ، لحظة واحدة ، وعندما سنحت الفرصة لم أستطع مقاومة اشتياقى لرؤيتكما .

* * * * *

قال الابن بلهجة تهكمية :

— لم تستطع مقاومة اشتياقك ؟! .. إنك لم تتذكرنا حتى بخطاب واحد ، طوال هذه السنين ..

لقد كنت واثقاً أنك لو كنت حياً ، فلا بد أنك قد نسيت أن لك أبناء .

قال الأب بانفعال :

— أياً كان الأمر ، فلا يحق لك أن تحدث أباك على هذا النحو .

ورد عليه (وجدى) بانفعال مماثل ، وهو ينهض من فوق مقعده قائلاً :

— أبى ؟! .. أى أب ذلك الذى تتحدث عنه ؟ .. إننى بصعوبة استطعت تبين ملامحك ، بعد أن ضاعت معالمها من ذاكرتى ، وإن كنت لم أنس تلك القسوة ، التى كنت تعاملنا بها أنا وأختى ، عندما كنا أطفالاً ، وشراسك مع أمى ، التى تحملت من أجلنا كل شرورك ، وأنت تلقى عليها بمسئوليتنا كاملة .. المسئولية التى كان يتعين عليك تحملها ، باعتبارك رب أسرة ، لو كنت تدرك معنى هذه الكلمة حقاً ..

ولكنك ألقيت بالمسئولية كاملة على كاهلها ، ولم يكن لها حتى حق الشكوى ، وإلا ذاق منك ذل الضرب والمهانة ..

* * * * *

أمى التى ارتضت لنفسها العمل فى المنازل ؛ لكى تجمع لنا
قوت يومنا ، وماتت وفى عينيها نظرة الحزن ، التى زرعتها فى
حياتها وحياتنا .

قال الأب بنبرة حزينة ، وهو يخفض عينيه :
— لقد كانت أمك بالفعل امرأة عظيمة ، تحمّلت الكثير
منى لأجلكما ..

هذه حقيقة لا يمكننى أن أنكرها .

ثم رفع وجهه إلى ابنه ، قائلاً :

— وهأنذا أرى أنها قد نجحت ، فى أن تجعل منك رجلاً
عظيماً ، لك مكانتك .

قال الابن ساخراً .

— نعم .. فى الوقت الذى لم تكن أنت موجوداً فيه بيتنا .
وردّ عليه الأب بلهجة مستكينة :

— عندما ابتعدت عنكم تركتكم كبيراً ، بالقدر الذى يتيح
لك معرفة أين كنت ، طوال هذه المدة .

أجاب الابن ، وفى صوته نبرة استعلاء :

— نعم .. أعرف .. كنت فى السجن ، حيث قضيت به
خمسة عشر عاماً ، لا تجارك فى المخدرات .. ولكنى أعرف أيضاً

***** ١٨ *****

أنك قضيت قبلها ثلاث سنوات كاملة بعيداً عنا ، لا نعرف أى
شئ عن أخبارك ، ولم نحاول أن نتعرف أى شئ عن أخبارنا ،
قبل أن يقبض عليك وتقدّم للمحاكمة ..

لقد ذقنا على يدك مرارة الحرمان ، وقسوة الطباع ، ثم
انتهى الأمر بأن ألحقت بنا العار .

قال الأب بحرارة :

— لم أكن أعرف أنك تكرهنى إلى هذا الحد .

هدأت حدة انفعال الابن قليلاً ، وهو يقول :

— وما الذى كنت تنتظره منى ، بعد كل تلك

السنوات ؟ .. إننى لم أعرف معك حنان الأب ورعايته ، وهذا

أمر لا يغتفر .. فى البداية أقمت حاجزاً بينى وبينك ، بسبب

تلك القسوة ، التى كنت تعاملنا بها ، وبعد ذلك ابتعدت عنا

نهائياً ، ودفعت بنا حتى إلى الإقلاع عن زيارتك فى السجن ؛

بسبب تلك الطريقة الفظة ، التى كنت تقابلنا بها ، والتى كانت

تعود بسببها أمى إلى المنزل ، والدموع تتساقط من عينيها ، إلى

أن أقسمت عليها يمينا ألا تأتى لزيارتك مرة أخرى ، وأخبرتها

أنك تريد أن تقطع صلتك بنا بصورة مطلقة ؛ لأنك تكرهنا ..

كم كنت أحسد الأطفال فى سنى ، وأنا أراهم فى صحة

***** ١٩ *****

آبائهم .. كم كنت أتألم وأنا أرى زملائي محاطين برعاية والديهم ، في الوقت الذي لم أكن أعرف فيه كيف أجيب على سؤالهم .. أين والدك ؟ ..

وفي النهاية اضطررنا ، أنا وأمي وأختي إلى أن نرحل إلى هذه المدينة ، (بورسعيد) ؛ لنقيم عند خالي ، بعيداً عن أى ذكرى تربطنا بك ، وأصبحت بالنسبة لنا غير موجود .
قال الأب :

— ولكن هأنذا ترى أننى ما زلت موجوداً ، سأبقى موجوداً بالنسبة لك .. لم أمت ، برغم أننى أعرف جيداً أنك كنت تمنى موتى .

قال (وجدى) بامتصاص .

— وما الذى تريده منى الآن ؟
الأب :

— انظر إلى جيداً ، وستعرف ماذا أريد ، انظر إلى تلك الثياب الرثة والجسد الواهن .
قال الابن بنبرة قاسية :

— فهمت .. لقد جئت ، لأنك بحاجة إلى نقود .
وتوجه نحو الخزانة الصغيرة ، الموجودة فى أحد أركان الغرفة ؛ ليفتحها ، ولكن الأب قال :

***** ٢٠ *****

— ما الذى يمكنك أن تدفعه لى .. ألفاً .. ألفين .. ثلاثة ؟
قال الابن ، وهو مستمر فى فتح الخزانة ، دون أن يلتفت إليه .

— ليس فى هذه الخزانة الآن سوى ثمانمائة جنيه ، أعتقد أنها تكفيك فى الوقت الحاضر .

لكن الأب اعترض قائلاً :

— وفر نقودك .. إننى بحاجة إلى عمل ..

واستدار إليه الابن فى حدة ، قائلاً :

— عمل ؟! .. أى عمل يمكنك أن أوفره لك الآن ؟

أجابه الأب فى هدوء :

— أى عمل يتناسب مع عمري ، ويتيح لى أن أحصل على

النقود ، التى أريدها ، من كدى ، لا من جيبي الخاص .

قال (وجدى) فى سخرية :

— ألم تفكر فى العمل الشريف إلا الآن ؟

وفى تلك اللحظة طرقت السكرتيرة باب الحجرة عدة

طرقات ، قبل أن تدلف إلى الداخل ، وما أن خطت داخل

الغرفة حتى استقرت عيناها على الأب ، ثم ما لبثت أن أخذت

تنقل نظراتها بينه وبين الابن ، وكأنها تتساءل ، بينها وبين

***** ٢١ *****

نفسها ، عما يمكن أن يربط بين رجل أعمال ثرى مثل
(وجدى) ، وذلك الرجل المتقدم فى السن ، الشرس الطباع ،
الرث الثياب ، إلى الحد الذى يطيل بينهما الحديث كل هذا
الوقت ... ؟

وكانت معالم القلق واضحة على وجهها ، وهى تنظر إلى
(وجدى) قائلة :

— عفوا يا (وجدى) بك .. ولكن ..

قال (وجدى) مقاطعا :

— يمكنك الانصراف يا (ابتسام) .

وعادت تنظر إلى الأب ، دون أن تفارقها نظراتها القلقة ،
وهى تقول :

— هل أنت واثق أنك لن تحتاج إلى فى شىء يا (وجدى)
بك ؟

وكأنما نهت نظراتها القلقة هذه (وجدى) إلى خطورة
الوضع ، بالنسبة له ، فماذا لو تكشفت حقيقة الرابطة ، التى
تربط بينه وبين رجل ، سبق أن أودع السجن متهماً بالاتجار فى
المخدرات ... ؟

أى ضرر يمكن أن يلحق به ، إذا ما كشف العاملون فى

* * * * * ٢٢ * * * * *

الشركة ، وأهل المدينة ، أنه ابن لأحد أرباب السوابق ، وهو
الذى جاهد ، لإخفاء هذه الحقيقة تماما ، عن زوجته وابنه ،
والجميع ، طوال الأعوام الطويلة الماضية ... ؟

الكل يعرف أن والده قد توفى منذ سنوات بعيدة ، وأنه
كان رجلاً فاضلاً ذا سمعة طيبة ، وقد ساعده خاله فى إخفاء
كل ما يتعلق بماضى أبيه ، كما أنه من ناحية كان يعتمد دائماً إلى
إنهاء أى حديث ، يمكن أن يتعلق بماضيه ، أو يدور حول أبيه ،
على نحو قاطع سريع ..

والآن ، وبعد أن رآته سكرتيرته الفضولية ، فما الذى يمكن
أن يقوله لها عن هذا الرجل ... ؟

لو عرف الناس هنا حقيقة أبيه .. لو علموا أنه ما زال باقياً
على قيد الحياة ، وأنه سبق أن أودع السجن ، متهماً فى قضية
مخدرات ، فإن هذا يعنى تدمير حياته الاجتماعية ، وعلاقته
الأسرية ، ومستقبله السياسى الذى خطط له ..

سيصبح هذا كارثة حقيقية بالنسبة له ، ويجب أن يعمل على
منعها ، بأى حال من الأحوال .

وبدا صوته غاضباً ، وهو يصيح فى سكرتيرته قائلاً :

— قلت لك : لا أحتاج إليك فى أى شىء ، ويمكنك

الانصراف .

* * * * * ٢٣ * * * * *

أخرجها صوته الغاضب من حالة القلق والفضول ، التي سيطرت عليها ، فالتفتت إليه قائلة ، وكأنها تعتذر :

— حسنًا .. حسنًا .. كما تريد يا (وجدى) بك .

ثم استدارت مغادرة المكتب ، في حين التفت الابن إلى أبيه ، قائلاً في انفعال :

— هل أخبرت أحدًا في هذه المدينة بحقيقة الصلة ، التي تربط بيننا ؟

قال الأب ، وهو يتسم في مرارة :

— تقصد حقيقة أنك ابنى وأنى أبوك ؟ .. اطمئن لم أخبر أحدًا بذلك ..

إننى مقدر بالطبع حقيقة مركزك الاجتماعى الآن ، ولا أَرْضى أن أسبب لك أى ضرر .

هدأ انفعال (وجدى) قليلًا ، وهو يقول :

— حسنًا سأجهز لك مسكنًا فى (القاهرة) ، أو فى أى مكان تريده ، بعيدًا عن (بورسعيد) ، وسوف يصلك منى ، راتب شهرى كافٍ بطريقة أو بأخرى .

لكن الأب قال فى إصرار ، وقد تبدلت ملامحه :

— قلت لك لا أريد منك نقودًا .. أريد أن أحصل على عمل ، ويتعين عليك أن تدبره لى .

نظر إليه الابن فى ضيق ، قائلاً :

— لا أدرى سر إصرارك على هذا ، ما دمت مستعدًا للتكفل بأمر معيشتك .. منذ متى ترفض الحصول على النقود بوسيلة سهلة ؟

أجابه الأب بلهجة ساخرة ، قائلاً :

— منذ أن تنبّهت إلى قيمة العمل الشريف .

ردّ عليه الابن ، بنفس نبرة السخرية اللاذعة :

— لقد تنبّهت إلى ذلك متأخرًا جدًّا .. وعلى كلّ إذا كنت مصرًّا على مسألة العمل هذه ، يمكننى أن أدبر لك أية وظيفة ، ولكن فى أى مكان آخر ، بعيدًا عن (بورسعيد) ، وبشرط ألا تخبر أحدًا بأنك أبى .

قال الأب فى لهجة حاسمة .

— بل أريد هذه الوظيفة هنا .. فى هذه المدينة .. فى

(بورسعيد) .

تطلّع إليه (وجدى) بدهشة ، مقترنة بضيق واضح ، وهو

يقول :

— ولماذا هنا بالذات ؟

أجابه الأب فى هدوء :

— لأننى أريد أن أكون قريباً منك ، ومن (مديحة)
أختك ، ما تبقى لى من العمر .
قال الابن متهمكماً .

— ترى ما سر هذا الحنان المفاجئ ، الذى هبط عليك نحونا
هكذا دفعة واحدة ؟ .. أخيراً استيقظت عاطفتك الأبوية ، بعد
طول سبات وتذكرت أن لك أبناء ، يتعين عليك أن تبقى إلى
جوارهم ما بقى لك من العمر ؟
ثم تبدلت لهجته فى قسوة :

— على كل حال نحن نشكر لك عطفك السامى ، ولكن
تأكد أننى وأختى (مديحة) سنكون أسعد حالاً ، لو بقيت
بعيداً عنا ، ونسيت أن لك أبناء ، كما نسينا نحن أن لنا أبا .
وهنا زجر الأب ، قائلاً فى شراسة ، وقد تبدلت ملامحه :
— كفى .. لن أسمع لك بكلمة أخرى .. اسمعنى جيداً ..
لقد جئت لأبقى وأعمل فى هذه المدينة .. إنك لا تعرف ولم
تجرب أية ظروف مررت بها ، وأى تعب لقيته من هذه الحياة ..
لقد آن لى أن أستريح ، وأبدأ حياة جديدة .. ربما جاء هذا فى
سن متأخرة كما تقول ، ولكنى مصمم على أن أبدأ هذه الحياة
الجديدة ، وأن أكون بجوارك أنت وأختك ، خلال السنوات
الباقية من عمري . أعترف أننى لن أستطيع أن أعرضكما

* * * * * ٢٦ * * * * *

عن عاطفة الأب ، التى افتقدتماها معى ، خاصة بعد أن كبرتما ،
وأصبح لكل منكما حياته الخاصة المستقلة . كما أعترف بأننى
أنا نفسى غير واثق بقدرتى ، على منحكما هذه العاطفة
المفقودة . لكنكما فى النهاية ابناى وأنا بحاجة إليكما .. بحاجة
إلى تعويض كل تلك السنين ، التى فارقكما فيها .. أرجوك ألا
تحرمنى من هذا يا (وجدى) .

قال الابن فى جمود :

— وإذا رفضت ؟

واجهه الأب بجمود مماثل قائلاً :

— إذن سأخبر كل مخلوق فى (بورسعيد) بأننى أبوك ،
وأننى لم أمت ، وأننى كنت مسجوناً فى قضية مخدرات ..
سأجعلهم يعرفون حقيقة الوجيه الأمثل .. الرجل الذى
يشار إليه بالبنان فى مدينتهم ، ويسعى الجميع إلى خطب وده ..
إننى أعرف جيداً مدى حرصك على مظهرك الاجتماعى ،
وسعيت وراء الترشيح كعضو مجلس محلى منتخب ، فى مدينة
(بورسعيد) .

* * * * * ٢٧ * * * * *

وأنا قادر على أن أدمر كل هذا .
ارتجف (وجدى) ، لدى سماعه هذا برغم محاولته التماسك
وقال :

— هل تهددنى ؟

أجابه الأب فى خشونة :

— نعم .. يمكنك أن تعتبر هذا تهديدًا .

رضخ (وجدى) قائلاً :

— حسنًا .. سأبحث لك عن عمل فى مصنعى .

ثم قال مستدركًا :

— ولكن يجب ألا يعرف أحد أنك أبى ، بأى حال من

الأحوال .

قال الأب ، وقد استرد هدوءه :

— اطمئن .. لن يعرف أحد ، دعنى أكون قريبًا منكما ،

وأعدك أن أحدًا لن يعرف أننى ما زالت على قيد الحياة ، حتى

أفارقها بالفعل .

قال (وجدى) بشىء من الضيق :

— وأين ستقيم ؟

أجابه الأب :

— فى قلبك بالطبع .

انتفض (وجدى) قائلاً بغضب :

— فى فيلتى ؟! .. ماذا تقول ؟ هل تريد منى أيضًا أن أجعلك

تقيم فى منزلى ؟

أجابه الأب :

— لو فكرت قليلًا ، لوجدت أن هذا سيكون الأفضل

بالنسبة لك ، فوجودى قريبًا منك إلى هذا الحد ، سيضمن لك

أننى لن أترثر بأية كلمة ، يمكن أن تشير إلى الصلة ، التى تربط

بينى وبينك .. سأكون أمام عينيك ، وستضمن سكوتى .

قال وجدى :

— إنه تهديد بشكل آخر ، ولكنه ليس سافرًا كسابقه ،

وإنما يتخذ شكل النصيحة ، ولكنه غير مقبول .. إننى موافق

بالنسبة للوظيفة ، أما بالنسبة للإقامة ، فيجب أن تبحث لك

عن مأوى آخر .

استعد الأب للانصراف ، قائلاً :

— حسنًا .. سأصرف .

ولكن قبل أن يدرك باب الغرفة ، استوقفه (وجدى)

قائلاً :

— انتظر .

ثم نظر إليه متردداً ، وهو يقول :

— أين ستذهب ؟

أجابه الأب :

— قلت لك سأصرف .

تحرك (وجدى) فى الغرفة بعصبية ، قائلاً :

— إننى لا أعرف كيف تنتظر منى أن أسمح لك بالإقامة

فى منزلى ، دون الكشف عن حقيقة شخصيتك ؟ .. بأية صفة

تريد منى أن أقدمك بها إلى زوجتى وابنتى .

أجابه الأب سريعاً :

— ما رأيك لو عينتى حارساً ، أو بواباً ، أو خفيراً ، أو

بأية صفة تختارها لقيلتك ؟ .. إننى فى هذه الحالة لن أطلب منك

راتباً ، وسأعمل نظير إقامتى وطعامى فقط ..

إننى أعلم أنك تبحث عن شخص ، يصلح لأن يكون

حارساً للقيلا ، بعد أن غادرها الحارس السابق ، وعاد إلى

بلدته ، ويمكننى القيام بهذا العمل ، خاصة وأنه سيجعلنى أكثر

قرباً منك ، ومن ابنك ، وسيتيح لى رؤية أختك أيضاً .

قال (وجدى) وفى صوته نبرة احتجاج :

* * * * *

— ما هذا ؟ .. هل كنت تجمع المعلومات عنى ، قبل

حضورك إلى هنا ؟

أجابه الأب بنبرة هادئة :

— يمكنك أن تقول إننى كنت أتبع أخبارك ، بوسيلة أو

بأخرى .

قال وجدى :

— ومع هذا فإننى أرفض .. كيف تنتظر منى أن أعين أبى

حارساً أو خفيراً لمنزلى ؟

ابتسم الأب لأول مرة ، قائلاً :

— أبى ؟ .. إنها المرة الأولى التى تنطق فيها بهذه الكلمة ، منذ

أن التقيت بك ، دون أن تحمل فى طياتها ذلك الازدراء ، الذى

رأيت فى عينيك .

أشاح (وجدى) بوجهه قائلاً :

— لا تحاول أن تؤثر على عاطفياً ، إن الموقف الذى أتخذه

حيالك ، لن يغير من الحقيقة شيئاً حتى لو لم أكن راضياً عن

هذه الحقيقة ..

واستدار إليه ، وبدت ملامح التردد واضحة على وجهه ،

وبعد برهة من الصمت قال مستسلماً :

* * * * *

— حسنًا .. سأعينك حارسًا للقبلا ، إذا كان هذا ثمنًا
 لسكوتك ، وضمانًا لإخفاء حقيقة الصلة ، التي تربط بيننا ،
 على أن تلتزم بحفظ هذا السر إلى الأبد .
 قال الأب ، وفي صوته نبرة حزينة :
 — لقد أخبرتك بأننى سألتزم بهذا — بالنسبة للآخرين —
 عدا أختك بالطبع ، فيجب ...
 لكن (وجدى) قاطعه قائلاً :
 — حتى أختى .. يجب ألا تعرف ذلك .
 احتج الأب ، قائلاً :
 — ولكن ..
 لكن (وجدى) عاد لمقاطعته :
 — هذا هو شرطى .
 الأب :
 — ألا تظن أنها ستعرفنى عندما تراه ؟
 وجدى :
 — لا أعتقد ذلك ، فقد كانت صغيرة ، عندما غادرت
 المنزل ، ولا أظن أنها ستعرفك ، بعد كل هذه السنين الطويلة .
 قال الأب بانكسار :
 — حسنًا .. أوافق .. أوافق يا ولدى .

* * * * *

٣ — شىء فى نفسى ..

توجه (وجدى) فى صحبة أبيه ، إلى غرفة صغيرة ، فى أحد
 أركان الخديقة ، دس المفتاح فى قفلها ليفتحها ، ثم أضاء النور
 قائلاً :
 — هذه الغرفة كانت مخصصة لحارس القبلا السابق ،
 وستكون محلًا لإقامتك .
 كانت الغرفة متواضعة للغاية ، يتوسطها بساط قديم ،
 وسرير معدنى صغير فى أحد أركانها ، وبالقرب من النافذة
 الخشبية الصغيرة كانت توجد منضدة معدنية ، أمامها مقعد
 واحد لتناول الطعام ، ولم يكن هناك من وسائل التسلية سوى
 تليفزيون عتيق الطراز ، وبعض الأدوات الإضافية الصغيرة
 الأخرى .. وتطلع الأب إلى محتويات الغرفة الصغيرة ، دون
 أن تبدو على وجهه علامات التبرم ، بل بدا سعيدًا بها وهو
 يقول :
 — حسنًا .. هذه الغرفة تناسبنى تمامًا .

* * * * *

لكن ملامح الضيق كانت واضحة على وجه (وجدى) .
فقد انتابه شعور مبهم بعدم الرضا عن هذا الوضع ، وبأنه
لا يليق به أن يسكن تلك القبلا الفاخرة ، تاركاً أباه ينام فى هذه
الغرفة المتواضعة ، فى أحد أركان الحديقة ، مهما كان موقفه
من أبيه .. بل لم يكن راضياً عن تعيينه فى هذه الوظيفة كحارس
لقيبته ، وأحس بأن ذلك الأمر ينطوى على شئ من النذالة
والخسة ، ولكنه حاول تجاهل هذا الشعور ، الذى أخذ يراوده
قائلاً :

— بالنسبة للطعام ، يمكنك أن تحضر إلى المطبخ فى أى
وقت ، لتأخذ ما تحتاج إليه .

قال الأب ، وقد بدا وكأنه قد تذكر شيئاً غاب عنه :

— هل تعرف أننى لم أتناول أى طعام منذ الصباح ؟

قال (وجدى) :

— سأحضر لك بعض الطعام من الثلاجة .

قال الأب متسائلاً :

— أأنت تدعونى لرؤية قبيلتك ؟

قال (وجدى) متردداً :

— نعم .. ولكن ...

الأب :

— لقد قلت لى إن زوجتك وابنتك فى الخارج .. إذن يمكنك
أن تجعلنى أرى منزلك من الداخل ، دون حرج .

(وجدى) :

— ولكن .. قد تصل (نجلاء) والولد فى أية لحظة ، فماذا
أقول لهم ؟

أجابه الأب :

— لا شئ .. ستقول إنك عيّنت حارساً جديداً ، للقبلا
وأنت تطلعه على كل ركن فيها ، حتى يقوم بعمله كما يجب ..
أعتقد أنها حجة مقبولة .

قال (وجدى) متبرماً :

— حسناً .. تعال معى .

تطلع الأب إلى القبلا الأنيقة من الداخل ، والتى بدت أشبه
بأحد التصورات الصغيرة ، وفى عينيه نظرة إعجاب وانبهار ،
قائلاً :

— لديك مسكن يدعو للإعجاب حقاً ، فكل ما هنا ينطق
بالثراء والأناقة .

قال الابن ، متجاهلاً تعليقه :

— سأرى ماذا يوجد في الثلاجة من طعام ؟

توجه إلى المطبخ في حين قال الأب بصوت عال :

— كل هذا الثراء وليس لديك حادمة وطباخ في المنزل ؟

وجدى :

— الخادمة تغادر المنزل في الساعة مساءً ، وزوجتي تتولى

إعداد الطعام بنفسها ، لأنها طباخة ماهرة .

الأب :

— ما رأيك لو ساعدتها في إعداد بعض الحلوى ، من أن

لآخر ؟

عاد الابن من المطبخ ، حاملاً صينية بها نصف دجاجة

محمرة ، وبعض شرائح من البطاطس ، وأنواعاً مختلفة من

الجبن ، وكوباً من العصير ، ليضعهما على المائدة أمام والده ،

وهو يجيب على سؤاله بحسم :

— لا .. لن يكون لك علاقة بالمطبخ ، أو بأى شيء آخر

داخل هذا المنزل — يكفيك حراسة القلا فقط .

ابتسم الأب قائلاً :

— ألم تعد تشاق إلى الحلوى الشرقية ، التي كنت أعدها

لك وأنت صغير ؟

ابتسم (وجدى) بالرغم منه ، وقد أعادت إليه كلمات

أبيه ذكرى قديمة ومحبة إلى نفسه .. لقد تذكر الآن فقط صوائى

الكنافة والبقلاوة وبلح الشام ، وكل تلك الحلوى الشرقية

الرائعة ، التي تذوقها وهو صبى صغير ، والتي كان أبوه يتولى

إعدادها بنفسه في المنزل .. لقد تذوق أنواعاً مختلفة من الحلوى

الشرقية والغربية ، وارتاد أفخر المحال ، التي تقدم تلك

الأصناف من الحلوى ، في الداخل وفي الخارج ، ولكنه لن ينسى

أبداً ذلك المذاق الرائع ، لتلك الحلوى الشرقية ، التي كان

يعدّها أبوه ، والتي ورثها عن جده ، الذي كان يحترف إعداد

ذلك النوع من الحلوى كمهنة ..

كان لتلك الحلوى مذاق آخر في فمه ، ربما لأن أباه كان

يعدّها بنوع من المتعة والفن الراقى ، فكانت تأقى على أشهى

صورة .. وكان هذا هو الشيء الوحيد ، الذي يجلب السرور

إلى نفسه من ذكرى أبيه ، في ذلك الماضى الكريه ، ومع ذلك

فقد تجاهل الرد على سؤال أبيه ، قائلاً :

— هيا لتأكل .. ألم تقل إنك جوعان ؟

انتبه الأب إلى الطعام الموجود على المائدة ، فانجذبت كل

حواسه نحوه ، واندفع يجلس أمام المائدة ، وينكبّ على الأكل

في شراة ونهم ، في حين وقف (وجدى) يراقبه ، وقد انتابه
فجأة فيض من حنان النبوة تجاهه ..

لقد وقف في المطبخ يعد له ذلك الطعام ، وهو يسعى —
دون أن يدري إلى انتقاء أفضل ما هو موجود لديه ، كما لو كان
يعد هذه الأطعمة لنفسه ، بل إنه — دون وعى أو إرادة —
تمنى في قرارة نفسه ، لو وجد في المنزل ما هو أفضل من ذلك
ليقدمه لأبيه ، بالرغم من غضبه ونقمته الظاهرة عليه ،
والأغرب من هذا ، ذلك الإحساس المبهم ، الذى تملكه ،
والذى بدا له مضحكاً وشاذاً في آن واحد ..

لقد تمنى لو جلس على المائدة إلى جوار أبيه ، وارتد طفلاً
صغيراً ، لا يتجاوز عمره ثلاثة الأعوام ، ليتولى والده إطعامه
بنفسه ، بل ويؤنبه لو سمح لبعض بقايا الطعام بالتساقط على
صدره .. ربما لأن حرمانه الطويل من حنان الأبوة ، وتلك
العلاقة الخاصة التى تربط بين الابن وأبيه ، والتى تختلف في
شكلها ومضمونها عن علاقته بأمه ، هو الذى دفعه إلى ذلك
التفكير الغريب ..

وسرعان ما هز رأسه بقوة ، وكأنه ينفذ ذلك الإحساس
العابر عن نفسه ، فأبوه مسئول عن أخطاء كثيرة في حقه ،

وحق أمه وأخته ، أخطاء ما زالت جروحها باقية في نفسه ،
ويجب ألا ينساق وراء تلك العاطفة ، التى تحاول أن تشده
إليه ..

يجب ألا يغفر له ما ارتكبه في حقه ، وحق أمه المسكينة
أبداً ..

ويبدو أن الأب قد لاحظ أن (وجدى) يحدق فيه ، في
أثناء تناوله لطعامه ، ولاحظ تلك المشاعر المتناقضة ، التى ترسم
خطوطها على وجهه ، فقال وهو يمضغ الطعام :
— أمازلت قلقاً من وجودى ؟

قال (وجدى) بصراحة قاسية :

— فى الحقيقة لا أستطيع أن أنكر ، أننى كنت أفضل ألا
تكون موجوداً ؛ فقد أصبحت بالنسبة لى لغماً قابلاً للانفجار
فى أية لحظة ، ليطيح بأشياء كثيرة فى حياى .
قابل أبوه صراخه ببراد ، قائلاً :

— هل ستظل واقفاً هكذا ؟ اجلس .

وجلس (وجدى) على المقعد المواجه له حول المائدة ، فى
حين أردف أبوه :

— على كل حال ، لا داعى لأن تسرف فى القلق ، فقد

يكون وجودي معك مؤقتًا ، وربما تجدي ذات يوم ، بعد أسبوع
أو شهر أو عام ، أودعك راحلاً عن هذه المدينة .

تهلل وجه (وجدى) ، وهو يقول :

— هل هذا صحيح ؟

خدجه الأب بنظرة فاحصة ، وهو يتوقف عن مضغ
الطعام ، ثم قال متجاهلاً سؤاله :

— قل لى .. هل زوجتك جميلة ؟

تراجع (وجدى) فى مقعده ، قائلاً بلا مبالاة ، إذ بدا
مشغولاً بما قاله أبوه بشأن رحيله :

— نعم .. ولكن قل لى : هل ما قلته ، عن استعدادك لترك
المدينة جدى ؟

رد الأب أيضاً ، بلا مبالاة قائلاً :

— نعم .. فقد أسافر إلى إحدى الدول العربية .

ثم أردف ، وهو يتابع حديثه عن زوجة ابنه :

— لقد سمعت أنها من أسرة كبيرة .

وجدى .

— نعم أبوها (نور الدين عزمى) ، من عائلة كبيرة فى

(السويس) ، وكان محافظاً سابقاً لـ (بورسعيد) .. ولكنك

لم تحدثنى عن أمر سفرك هذا .

* * * * *

عاد الأب يتجاهل سؤال ابنه ، قائلاً وهو يحدجه بنظرة
ثابتة :

— هل تحبها ؟

ابتسم (وجدى) ، قائلاً بتهكم :

— هل تريد أن تلعب معى دور الأب المهتم بحياة ابنه
الاجتماعية ؟

الأب :

— ولكنى مهتم بالفعل .

(وجدى) .

— حسناً .. فلتعلم إذن أننى أحب زوجتى وابنى ، ونحن
سعداء فى حياتنا .. إذ كانت هذه هى رغبتك الحقيقية .

الأب :

— وما اسم ابنك ؟ وعمره ؟

(وجدى) :

— اسمه (وائل) .. وعمره تسع سنوات .

ابتسم الأب مرّداً :

— (وائل وجدى منصور الدهشورى) اسم جميل .

توقف الأب عن ازدراد الطعام ، قائلاً باهتمام :

* * * * *

— وأختك .. ما أخبارها ؟

(وجدى) :

— (فاطمة) بخير .. تزوجت مهندساً يعمل في مؤسستى ،

ولديها منه طفلان ، ومنزلها غير بعيد عن هنا .

غادر الأب مقعده ، قائلاً :

— عظيم .. لقد اطمأنت عليكما .

قال (وجدى) ، وهو يضغط على كلماته ، وكأنه يتعمد

أن يصل معناها إلى أبيه :

— لقد صارت الحياة بنا على أفضل ما يكون ، والفضل في

هذا يرجع إلى خالى (أمين) ، الذى أنقذنا من الضياع ، وتولى

أمرنا منذ اللحظة الأولى ، التى ابتعدت فيها عنا ، حتى ورثنا

ثروته فى النهاية ؛ ليضمن لنا حياة كريمة ورغدة ، حتى بعد موته .

تجاهل الأب المعنى المقصود من كلمات ابنه ، قائلاً :

— أرشدنى إلى الحمام .. أريد أن أغسل يدى .

فى تلك اللحظة تعالى صوت سيارة تتوقف بالخارج ، فبدأ

الارتباك واضحاً على وجه (وجدى) ، الذى تسمّر فى مكانه

قائلاً :

— لقد عادت (نجلاء) والولد .

وارتبك ..

ارتبك فى شدة ..

***** ٤٢ *****

٤ — صراع المشاعر ..

قال الأب لابنه ، فى هدوء وثبات :

— لماذا تبدو مرتبكاً على هذا النحو ؟ .. ألم نتفق على كل

شئ ؟ من المفروض أننى أعمل حارساً للقيلا ، بدلاً من

الحارس السابق .

قال (وجدى) بوجه ممتقع .

— وبم سأخبرها عن وجودك داخل القيلا ، وتناولك

الطعام على المائدة الرئيسية ؟

الأب :

— هل زوجتك أرستقراطية ومتعالية إلى هذه الدرجة ؟

فى تلك اللحظة فُتح باب القيلا ، واندفع (وائل) إلى

الداخل — كعادته — ليسبق أمه ، فى حين وقفت (نجلاء)

تنزع المفتاح من فتحة الباب ، وفتح (وائل) ذراعيه ، متجهاً

لمعانقة أبيه ، وهو يهتف قائلاً :

— ماما .. بابا .. هنا ، وهو لم ينم بعد .

فتح (وجدى) ذراعيه بدوره لاستقباله ، قائلاً :

***** ٤٣ *****

— أهلاً (وائل) حبيبي .

ولكن وائل تسمّر أمام الرجل ، الواقف بجوار أبيه ، وهو يحدّق فيه باستغراب ، وقابل (منصور) (الأب) دهشته بابتسامة ، وهو يطيل النظر إليه بدوره ، وقد اكتسى وجهه بملامح تشفّ عن حنان دافق ، وهمس لـ (وجدى) :

— ألا ترى يا (وجدى) . أنه يشبهني أكثر منك ؟

همس (وجدى) وهو يراقب اقتراب زوجته ، دون أن يخفى حدة انفعاله :

— اصمت .

عاد (وائل) يهتف بأمه قائلاً :

— ماما .. يوجد رجل عجوز في منزلنا .

وحذّقت (نجلاء) في والد زوجها ، وفي عينيها نظرة تساؤل ، أكثر منها دهشة ، فقال لها (وجدى) ، محاولاً إخفاء توتره :

— إن هذا الرجل ...

قاطعته (منصور) ، وهو يمدّ يده لمصافحة (نجلاء) ، بعد أن لاحظ ارتباك ابنه :

— (عبد التواب) يا هانم .. لقد عيني (وجدى) بك اليوم لحراسة القيلا .

وصافحته (نجلاء) ، وهي تجذب يدها من يده في سرعة .

قائلة لـ (وجدى) :

— أهذا هو الحارس الجديد ؟

أجابها (وجدى) :

— نعم .. إنه من بلدة مجاورة ، وسبق له القيام بهذا العمل

في إحدى القيلاّت بـ (القاهرة) ، وقد رشحه لي أحد أصدقائي .

ولكن (نجلاء) بدت غير مهتمة بما قاله زوجها ، إذ أخذت تتأمل الرجل بشيابه الرثة ، ثم تقدّمت من زوجها لتمسك برفقه ، وهي تجذبه إلى أحد أركان الردهة ، قائلة في همس :

— ما هذا ؟ ما الذى دعاك إلى الإقدام على هذا التصرف

الغريب ؟

قال دون أن يتخلص من توتره :

كان الرجل جائعاً ، فلم أجد بداً من دعوته إلى تناول الطعام

هنا ، ولكى يأخذ فكرة عن القيلا من الداخل أيضاً ، قبل أن يتولى حراستها .

قالت (نجلاء) فى حدة :

— إننى لا أتحدث عن هذا .. ولكن من الذى دعاك إلى

تعيينه فى هذا العمل أصلاً ؟ ..

ألا ترى أن الرجل متقدم في السن ، ولا يصلح للقيام بهذا العمل . الذي أسندته إليه ؟ ثم ألم أخبرك بأن (فوزية) صديقتي طلبت مني تعيين أحد أقاربها لحراسة القيلا ؟ هل تقصد أن تخرجني ؟

وجدى :

— أبدا يا حبيبتي .. لقد غاب هذا عن ذهني .. كما أن الصديق الذي أحضره لي أيضا قد أخرجني ، ولم أجد ما أقوله له . أما عن كونه متقدما في العمر ، فأنت تعلمين أنه سيكون بوابا أكثر منه حارسا ، إذ ليس لدينا ما نخشاه في هذه البلدة . التي يحبنا فيها الجميع .

التفتت (نجلاء) إلى الرجل ، قائلة :

— انظر إلى ثيابه الرثة .

وجدى :

— وهذا ما دفعني إلى الموافقة على تعيينه .. إن الرجل يبدو مسكينا ، وفي حاجة ملحة إلى العمل ؛ لذا فقد أشفقت عليه . قالت (نجلاء) ، وهي تقترب من مكان الرجل ، هامسة : — أليس له أولاد أو عائلة ؟

ازدرد (وجدى) لعابه ، وهو يقول بصعوبة :

* * * * *

— في الواقع .. لم أسأله عن هذا .

كان (منصور) مستمرا في تبادل النظرات الحنونة مع الصبي ، عندما التقطت أذناه ما قالت زوجته ابنة همسا ، فاقرب منها قائلا :

— لقد توفيت زوجتي منذ بضع سنوات ، وكانت هي كل عائلتي ، إذ لم أنجب منها أولادا .

اكتسى وجه (نجلاء) بنظرة إشفاق ، وهي تردد : — مسكين .

(أطرق (منصور) بوجهه إلى الأرض ، وهو يقول :

— لا يحرمنا الله من عطفك يا هانم .

نظرت إلى (وجدى) ، قائلة :

— هل قدمت له شيئا من الطعام ؟

قال (منصور) سريعا :

— لقد تفضل (وجدى) بك بإطعامي ، قبل حضور حضرتك بلحظات .. بعد إذنك يا هانم .. سأعيد الأواني الفارغة إلى المطبخ .

وراقبته الزوجة وهو يحمل الأواني ، متجها بها إلى المطبخ ، قائلة :

* * * * *

— يبدو أنه يستحق المساعدة حقًا .. ما هو الراتب الذى اتفقت معه عليه ؟

وجدى :

— لم أتفق معه بعد .

نجلاء :

— لا تضمن عليه براتب جيد ، وسأعطيه بعضًا من ثيابك القديمة ، بدلًا من ثيابه المهلهلة هذه .

وتقدم (وائل) من والده ، قائلاً :

— بابا .. هل سيقم هذا الرجل معنا فى المنزل ؟

وجدى :

— نعم يا حبيبى .. إنه الحارس الجديد ، وسيقيم فى الغرفة التى كان يقيم فيها عم (محمود) بالحديقة .

وائل :

— ولكننى أخاف منه .. فهو يبدو مخيفًا .

رَبَّتْ (وجدى) على ظهر ابنه ، وهو يجنو على إحدى ركبتيه إلى جواره ، قائلاً :

— إنه رجل طيب ومسكين ، وليس فيه ما يخيف أحدًا ، بل هو يستحق منا العطف والرعاية .

وكانت (نجلاء) قد غادرت الردهة لإحضار بعض ثياب زوجها القديمة ؛ لتقدمها للرجل ، فى حين شرد (وجدى) ، وهو يفكر فى ذلك الوضع الغريب ، الذى وجد نفسه فيه هكذا فجأة ، خلال عدة ساعات ، ومنذ أن التقى بوالده ، الذى كاد ينساه ، ويمحى وجوده من ذاكرته ..

إن هذا الوضع ، الذى يفرض عليه إخفاء حقيقة أبيه ، ليظهره أمام الآخرين فى مظهر الأجير ، الذى يعمل لديه ، يثقل على ضميره ، ويشعره بشيء من عدم الاحترام نحو نفسه ، وهو لا يعرف ما الذى دعاه إلى الانسياق وراء أفكار أبيه ، لتنفيذ هذه التمثيلية القبيحة ؛ وكيف سيتعامل مع والده كأجير لديه ؟ .. بل كيف سيتقبل معاملات الآخرين معه بهذه الصفة ، خاصة وهو سيراه أمامه فى المنزل دائمًا ؟ ..

إنه فى النهاية ، شاء أو لم يشأ أبوه ، ولا بد لتلك العواطف الخفية ، التى طالما حاول أن يثدها ، أن تتحرك ، مهما كانت مرارة المشاعر ، التى يحملها فى نفسه ، تجاه هذا الأب القاسى ، الذى تخلى عنه فى طفولته وصباه ورجولته ، وهو لا يريد لهذه العواطف أن تتحرك أبدًا ، لا يريد حتى أن يشعر بشيء من تأنيب الضمير تجاه أبيه ، ففى أعماق نفسه سد خرساني ، يرتفع يومًا بعد يوم ، ليحجب عاطفة البؤسة فى نفسه ويخفيها ..

وأحس بأنه كان مخطئاً في موافقته على ما طلبه منه أبوه ،
وكان عليه أن يكون أكثر تشدداً في هذا الشأن ، بل كان عليه
أن يبذل جهداً أكثر ، في إبعاده عن حياته مرة أخرى ، ولكن
ماذا يفعل ؟ .. إنه يهذده بكشف حقيقة الصلة ، التي تربط
بينهما ، وهو قادر على تنفيذ تهديده ، وإذا ما نفذه فسيكون
هذا كارثة حقيقية بالنسبة له ..

ولكن هل كان يعنى ذلك بالفعل ؟ ..

هل كان سيسعى إلى تحطيم مستقبله وحياته العائلية ، بكشف
سر الصلة التي تربط بينهما حقاً ، في حالة رفضه لما طالبه به ؟ ..
قال لنفسه ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مريرة :
— ولم لا ؟ لقد تخلى عن أبنائه وزوجته في الماضي ، ولم
يعبأ بالعار الذي يمكن أن يجلبه عليهم ، عندما اختار لنفسه طريق
السجن والجريمة ، فما الذي سيردعه الآن ؟

إن مشاعر الأبوة لديه مَيَّتة ، وبالطبع هو لم يعد من أجل
اشتياقه إليه وإلى أخته ، أو رغبته في البقاء بجوارهما في سنواته
الأخيرة كما يقول ويتظاهر ، لقد عاد يبحث عنهما ، بعد أن
أصبح فقيراً معدماً ، لا يجد له المأوى ، وينهش الجوع أمعاءه ..
عاد من أجل الاستفادة من أمواله ، برغم تظاهره بعكس

ذلك ، وتعففه الزائف ، وبرغم أنه عرض عليه معاونته ،
واستعداده لتولى أمور معيشته والإنفاق عليه ، إلا أنه يبدو أنه
لا يقنع بذلك ، ويسعى لاستثمار أبوته له لأقصى مدى ..
وخرج (وجدى) من شروده على لمسة من زوجته لكتفه ،
وهى تهمس قائلة :

— (وجدى) .. لقد أحضرت له بعضاً من ثيابك
القديمة .

قال وهو ينهض واقفاً ، حيث كان ما زال جاثياً بجوار ابنه ،
الذى انشغل عنه بمطالعة بعض المجلات :
— أعتقد أنك تولينه اهتماماً أكثر من اللازم .
ونظرت إليه باستغراب ، قائلة :

— لقد كنت تقول عنه إنه رجل مسكين منذ لحظات ،
فضلاً عن أنه من طرف صديقك ، كما أنه يبدو بانساً
بالفعل .. ألا يدعونا هذا لإبداء بعض الاهتمام ؟
قال بضيق :

— حسناً .. افعل ما يحلو لك ، أما أنا فسوف أذهب إلى
الفراش ؛ لأننى متعب وأريد أن أنام .
ظلت تلك النظرة المتفحصة في عيني (نجلاء) ، وهى
تقول :

***** ٥١ *****

— (وجدى) .. ماذا بك ؟ هل هناك ما يضايقك ؟

وقال وكأنه يدفع عن نفسه تهمة :

— أنا .. كلا .. كل ما هنالك أننى أشعر ببعض التعب ،

كما قلت لك .

وفى تلك اللحظة حضر (منصور) من المطبخ ، ووقف بجوار الباب ، وهو يجفف يديه ، مُوجِّها حديثه إلى (نجلاء) قائلاً :

— كل شيء تمام يا هانم .. لقد غسلت الأواني ، ووضعتها فى أماكنها .. هل تحتاجين إلى شيء آخر ؟

تقدّمت (نجلاء) نحوه قائلة :

— لم يكن هناك ما يدعوك إلى ذلك يا عم (عبد التواب) ، فهناك خادمة تتولى شئون المطبخ والمنزل .

ابتسم قائلاً :

— إننى لم أفعل شيئاً يا هانم ، وأنا مستعد دائماً للقيام بأى عمل تكلفوننى إياه ، إلى جانب رعايتى للقيلا ، مهما كان ، فأنا لن أنسى فضل (وجدى) بك على ، بتعيينه لى هنا ، فى ظل الظروف السيئة ، التى أمر بها هذه الأيام .

وقدّمت له (نجلاء) الثياب القديمة ، التى أحضرتها قائلة :

— أشكرك يا عم (عبد التواب) .. خذ . هذه الملابس من أجلك .

أخذ منها (منصور) الثياب ، وعلى وجهه نظرة امتنان .
قائلاً :

— أشكرك يا هانم .

تقدّم منه (وائل) متردّداً ، وهو يقول :

— هل يمكنك رعاية عصافير (الكناريا) فى أثناء غيابى فى المدرسة ؟

ابتسم (منصور) قائلاً فى حنان :

— بالطبع يا (وائل) بك .. سأحفظهم فى عيني ، ماداموا يخصوصونك .. إن لى بعض الخبرة ، فى معاملة ذلك النوع من الطيور .

ثم التفت نحو (وجدى) وزوجته ، قائلاً :

— والآن اسمحالى بالانصراف .

نجلاء .

— تفضل يا عم (عبده) .

وانصرف (عبد التواب) ، تتبعه نظرات (وجدى)

الذى تتنازعه مشاعر شتى .. ومتناقضة ..

٥ — قلبي مع ولدي ..

وضع وجدى يده على كتف أبيه ، قائلاً فى انفعال :

— ما الذى تفعله هنا ؟

قال (منصور) دون اهتمام ، وهو يركز نظراته على شرفة واسعة ، تطل على حديقة صغيرة فى أحد المنازل ، قائلاً :

— أحاول رؤية (فاطمة) وأولادها .

وجدى :

— ألم ترها أول أمس ، عندما جاءت لزيارتنا ؟

التفت إليه الأب ، قائلاً فى حزن :

— إنك لم تتح لى الفرصة ، لكى أملأ عينى منها .

وجدى :

— ولكنك بهذه الطريقة ستكشف عن نفسك .

عاد الأب ينظر إلى الشرفة ، قائلاً :

— اطمئن .. إننى أحاول فقط رؤيتها والاطمئنان عليها ،

ثم سأصرف عائداً إلى القिला .

قال (وجدى) بضيق :

— أبهذه الطريقة ؟ .. تترك القिला مبكراً ، دون أن تقول لأحد ، ثم تأتى لتقف على ناصية الشارع ، متطلعا بفضول إلى شرفة المنزل ، كما يفعل المتلصصون ، لترى (فاطمة) ؟ وهل هناك طريقة للفت الأنظار وإثارة الأقاويل أكثر من هذا ؟

نظر إليه الأب ، قائلاً فى حدة هذه المرة :

— من حقى أن أرى ابنتى .

قال (وجدى) بحدة مماثلة :

— ما الذى جعلك تهتم بهذا الحق هكذا فجأة ؟ .. لقد

كانت (فاطمة) موجودة دائماً ، فأين كنت أنت طوال

السنين الماضية ؟

أمسك الأب بستره ابنه قائلاً فى غلظة :

— اسمع أيها الولد .. إنك ابنى فى النهاية ، ولن أسمح لك

بترديد هذه الكلمات على مسامعى ، من آن لآخر .. ليس من

حقك أن تؤنبنى ، فأنا وحدى الذى أمتلك هذا الحق .. هل

تسمعنى ؟

أمسك (وجدى) يدي أبيه ؛ ليعدها عن سترته ، قائلاً

وهو ينظر حوله :

— إياك أن تكرر ذلك مرة أخرى .. ما الذى يحدث لو

راك أحد تمسك بسترى على هذا النحو ؟

خفض الأب بصره ، قائلاً وقد خفت صوته :

— معك حق .. فالمفروض أنني البواب ، الذى يرعى منزلك ، فكيف يمسك البواب سترة البك على هذا النحو ؟
وجدى :

— أنت الذى طلبت القيام بهذا العمل ، وكان بيننا اتفاق واضح فى هذا الشأن .
الأب :

— وأنا لا أحتج على العمل الذى أقوم به ، بل إننى سعيد به ، ومستعد للقيام بما هو أدنى من ذلك من أعمال ، وأظن أنه قد مر على أسبوعان فى هذا العمل ، التزمت خلالهما بما هو مطلوب منى على الوجه الأكمل ، ولم أسمح لنفسى بالوقوع فى أى خطأ ، ولو كان صغيراً ، يمكن أن يكشف عن الصلة التى بيننا ، ولكن كل ما أريده هو أن أشعر بقربكما منى أنت وأختك ، على نحو أكثر من هذا ، أريد منك أن تعوضنى حرمان السنين ، التى باعدت بينى وبينكما ، بغض النظر عما كان المسئول عن ذلك البعاد ، أريد أن أقرب منك ، دون أن أرى هذه النظرة القاسية فى عينيك .. إننى أشعر بأنك تتعمد أن تباعد بينى وبين رؤية (فاطمة) ، وهذا ظلم .

صمت (وجدى) قليلاً ، ثم قال :

— إننى لا أعرف متى هبطت عليك تلك العاطفة الجياشة نحونا ؟!

ثم نظر إليه ، وفى عينيه نظرة إنكار قائلاً :

— هل تحاول أن تفهمنى أن تلك العاطفة حقيقية ؟
الأب :

— لماذا لا تصدق أننى أحبكما ؟

وجدى :

— لأننى كنت أبحث عن هذا الحب طويلاً فلا أجده ، ولأن الحنان لا ينفذ إلى القلوب الجامدة هكذا مرة واحدة ، ودون مقدمات ..

على كل حال إننا لن نقف لتحاور فى هذا المكان ، على ناصية الطريق ، هيا عد للقيلا ، وقل لـ (نجلاء) أى سبب ، تبرر به مغادرتك للمنزل هكذا مبكراً .

قال الأب وهو يتطلع إلى الشرفة بلهفة :

— ولكن ...

وجدى :

— سأجد وسيلة لأجعلك تلتقى بـ (فاطمة) .. ولكن عد الآن .

امثل الأب ، قائلاً :

— أمرك يا بنى .

قال (وجدى) قبل أن يعود لسيارته :

— على فكرة .. لا داعى لإبداء كل هذا الاهتمام المبالغ فيه

بـ (وائل) ، فهذا أيضًا يمكن أن يلفت الأنظار .

فى هذه اللحظة نادته (نجلاء) :

— عم (عبده) .. أين كنت ؟

وأجابها (منصور) قائلاً :

— ذهبت لتوديع أحد معارفى قبل سفره .

نجلاء :

— بدون أن تخبرنا .

منصور :

— آسف يا هانم .. خطأ لن يتكرر .

تطلعت إليه قائلة :

— قل لى .. لماذا يبدو وجهك حزينا هكذا ؟

اصطنع (منصور) ابتسامة باهتة على وجهه ، وهو يقول :

— أبدا يا هانم .. إننى سعيد للغاية ، منذ التحقت بالعمل

هنا .

وظلت تحدق فى وجهه ، غير مقتنعة بما يقول ، ثم قالت :

* * * * * ٥٨ * * * * *

— حسنا .. هل تريد المساعدة حقًا فى بعض أعمال

المطبخ ؟

منصور :

— سيكون هذا من دواعى سرورى .

نجلاء :

— إذن تعال معى ، فسوف نقيم حفلاً الليلة ، بمناسبة نجاح

(وجدى) فى إبرام إحدى الصفقات ، وسنكون بحاجة لكل

جهد هنا .

سألها (منصور) ، وهو يصحبها إلى الداخل :

— هل ستحضر الهانم أخت (وجدى) بك إلى الحفل ؟

نظرت إليه بدهشة ، قائلة :

— ربما .. ولكن ما شأنك أنت بهذا ؟

أجابها بارتباك :

— لا .. لاشئ . مجرد سؤال .

وتركته (نجلاء) يتقدمها إلى المطبخ ، وفى عينيها نظرة

تساؤل حائرة ..

لقد لاحظت فى المرة السابقة ، عندما زارهم (فاطمة)

وزوجها وأولادها ، أن الرجل يبدى اهتماما غير طيعى بهم ، وأنه

* * * * * ٥٩ * * * * *

يتطلع إلى أخت زوجها بالذات بنظرات غريبة ، بل لمحتة وهو يرقبها خلسة بجوار شرفة القيلا ، وقد أثار ذلك دهشتها ، لكنها عزته إلى نوع من الفضول ، فلم يكن من المقبول أن تكون لتلك النظرات أى معنى آخر غير الفضول .. وإلا فما معناها ؟

وفي المساء ، وصل عدد من الأشخاص في صحبة زوجاتهم إلى فيلا (وجدى) ، حيث شارك (منصور) في القيام بأعمال الضيافة وخدمتهم ، بتقديم المشروبات والأطعمة ، ولم يكن (وجدى) قد وصل بعد ، وسأل أحدهم قائلاً :

— هل هذا معقول .. نحضر إلى الحفل ، دون وجود صاحبه ؟

رد عليه آخر :

— أنت تعرف (وجدى) جيداً ... لا بد أن أمامه بعض الأعمال .. و (وجدى) ، عندما ينخرط في العمل ، ينسى أى شيء آخر عداه .

واقتربت منهما (نجلاء) قائلة بلطف :

— ليس إلى هذه الدرجة يا (عصام) بك .. لقد اتصل بي (وجدى) منذ لحظات ، وهو في طريقه إلى هنا ، ثم إنكم لستم غرباء فالمنزل منزل لكم .

ضحك الرجل قائلاً :

— طبعا .. طبعا يا (نجلاء) هانم .

لكن (نجلاء) تركتهما ، ودخلت إلى الشرفة ، وهى تنظر إلى الطريق ، وقد بدت عليها ملامح التوتر والعصبية ، وتبعها (منصور) إلى الشرفة ، وقد لاحظ توترها ، ثم مالبث أن قال بصوت خافت :

— هل هناك ما يكدرك يا هانم ؟

التفتت إليه ، لتنفجر في وجهه بعصبية :

— ما هذا ؟ .. ما شأنك أنت إذا كان هناك ما يكدرك أم لا ؟

قال منصور متحرجاً وقد فاجأته بهذا الأسلوب ، الذى لم تحدثه به منذ أن حضر إلى القيلا :

— لقد لاحظت ...

لكنها قاطعته بنفس الحدة :

— ليس من حقك أن تلاحظ أى شيء ، أو تبدى تعلقاً بشأن أى شيء .. فأنا أرى منذ حضورك إلى هنا أنك تتصرف بطريقة غريبة ، وأحياناً تتجاوز الكثير من الحدود .
أطرق (منصور) برأسه إلى الأرض ، قائلاً :

— آسف يا هانم .

واستدار ليغادر الشرفة ، لكنها استوقفته قائلة :

— انتظر .

واقربت منه ، وفي ملامحها شيء من الندم ، لتعذر له قائلة

بصوت خافت :

— لا تغضب مني يا عم (عبده) .. فأنا التي يجب أن

أعذر لك .

قال سريعاً :

— العفو يا هانم .

نجلاء :

— إنني أشعر بأنك رجل طيب ، وأنتك تحب الخير

للآخرين .. لكنني أشعر ببعض الضيق الآن .

وشجعت لهجتها الحانية على أن يقول لها :

— لعدم حضور (وجدى) حتى الآن .

نظرت إليه بدهشة ، ولكنه سرعان ما استدرك .

— آسف .. (وجدى) بك .. إنها زلة لسان .

استطردت نجلاء قائلة :

— إنني أشعر أحياناً أنه يعتمد أن يخرجني ، فهو لا يحضر

* * * * *

في مواعده دائماً ، بل أحياناً كثيرة يدعني أواجه الموقف
بمفردي .

قال لها (منصور) وهو يبدى اهتماماً حقيقياً :

— هل اتصلت به في مكتبه ؟

نجلاء :

— اتصلت .. وأخبرتني سكرتيرته أنه غادر مكتبه منذ

ساعة .

منصور :

— إذن فلا بد أنه في طريقه إلى هنا .

نجلاء :

— الطريق ، من الشركة حتى هنا ، لا يستغرق عشرين

دقيقة .

بدا انقلق يتتاب (منصور) من أجل ابنه ، فإذا كان قد

غادر مكتبه منذ ساعة ، وإذا كانت المسافة بين الشركة والمنزل

لا تزيد على عشرين دقيقة ، فأين ذهب إذن ؟ خاصة وهو

يعرف أن هناك عدداً من المدعوين والمدعوات في منزله الليلة

لحفل أقيم خصيصاً من أجله .

وقال لها فجأة :

* * * * *

— سأذهب لأبحث عنه .

ولكنها أوقفته قائلة :

— ما هذا ؟ هل ستذهب لتبحث عنه في الطرقات ؟ إنه على كل حال ليس بالطفل الصغير ، ولا بد أن عملاً ما قد عطله .
وفجأة نظر (منصور) إلى البوابة الخارجية ، وعلت وجهه ابتسامة ارتياح وهو يقول :

— لقد حضر .. ها هي ذى سيارته .

ونظرت (نجلاء) للسيارة ، وهي تعبر البوابة إلى داخل الفيلا ، وقد هدأ توترها قليلاً ، وقال (منصور) متلهلاً :

— سأذهب لاستقباله بنفسى .

تطلعت إليه (نجلاء) ، وقد حلت الدهشة محل التوتر على ملامحها قائلة :

— لم أكن أعرف أنك تحبه هكذا .

وتضاعفت حيرتها ..

تضاعفت كثيراً .

٦ — متاعب رجل ..

اندفع (منصور) نحو سيارة (وجدى) ، وهو يهيم بفتح بابها قائلاً :

— لماذا تأخرت هكذا ؟ الضيوف يسألون عنك وزوجتك قلقة جداً .

ولكن (وجدى) خدجته بنظرة صارمة ، محدراً إياه من التبسط في الحديث ، وأدرك (منصور) أن هناك آخرين معه في السيارة ، فتدارك الموقف ، وتوقف عن الحديث ، وهو يفتح الباب الخلفى ، وأحسن بقلبه يخفق في شدة ، عندما رأى ابنته (فاطمة) ، وهي تمهبط من السيارة ، ومعها أبنائها الثلاثة ، ولم يستطع أن يتحكم في نظرة الاشتياق ، التى قفزت إلى عينيه ، وهو يتأمل ملامح وجهها ، وسرعان ما قال ، وهو يغالب أحاسيسه :

— أهلاً وسهلاً يا (فاطمة) هانم .

وردت عليه وفي عينيها نظرة حزينة :

— أهلا يا عم (عبده) .. من فضلك أحضر الحقائب من
السيارة .

قال (وجدى) :

— اسبقينى أنت والأولاد إلى الداخل ، وسألق بكم .
وقف (منصور) يتابعها ، في أثناء دخولها إلى القिला ، وهو
يشيعها بنظرات حنونة ، في حين اتجه (وجدى) إلى حقيبة
السيارة الخلفية ، ليفتحها ويخرج منها الحقائب الخاصة
بـ (فاطمة) وأولادها ، فاقرب منه (منصور) ، بعد
انصراف ابنته ، قائلاً وعلى وجهه ابتسامة امتنان :

— لم أكن أعرف أن تأخرك هذا سببه ذهابك إلى
(فاطمة) ، ولو أنه كان يتعين عليك الاتصال بنا وإخبارنا
بذلك ، حتى لا تثير قلق زوجتك ، وتتسبب في إحراجها أمام
الضيوف .

ولم يرد عليه (وجدى) ، بل تناول الحقائب ليضعها على
الأرض ، ووجهه ينم عن الضيق والغضب ، في حين أردف
(منصور) قائلاً :

— على كل حال أشكرك لأنك استجبت سريعاً لمطلبى ،
وأحضرت (فاطمة) معك هي والأولاد .. إنه ليسعدنى أن

* * * * *

أن أشعر بأنك ترعى خاطرى ، وتدرك حقيقة إحساسى
كأب .

التفت (وجدى) إليه ، قائلاً بانفعال :

— حسناً .. يتعين عليك أن تعرف أننى لم آت بـ (فاطمة)
وأولادها مراعاة لخاطرك ، أو إدراكاً لأحاسيسك الأبوية كما
تقول ، وإنما أحضرتها إلى هنا لأنها على خلاف مع زوجها ، وهما
على وشك الانفصال .. ألم تلاحظ كل هذه الحقائق ، التى
أحضرتها معها ؟

نظر (منصور) إلى الحقائب وقد اكتست ملامح وجهه
بالقلق قائلاً :

— نعم .. كيف لم ألاحظ ذلك ؟ ولكن ما الذى حدث ؟
أعنى ما سبب الخلاف بين (فاطمة) وزوجها ؟
قال (وجدى) متبرماً :

— وهل تنتظر منى أن أترك زوجتى والضيوف ، لأقف هنا
وأحكى لك تفاصيل الخلاف بينهما ؟

لقد كنت تريد أن تكون قريباً من ابنتك لتنعم بصحبتها ،
وها هى ذى قد جاءت لتبقى بجوارك لفترة طويلة ، فلتها أذن
بصحبتها ، وكفانى ما أنا فيه من مشاكل ..

والآن أعتقد أنه من المتعين عليك أن تحمل هذه الحقائب
إلى الداخل ، كما قالت لك (فاطمة) .. أعنى أن هذا هو
الوضع المفروض أمام الآخرين .

* * * * *

وانحنى (منصور) على الحقائق ليحملها ، وقد ظللت
وجهه ملامح الوجوم ؛ وهو يقول :
— نعم .. نعم .. أفهم ذلك .. اسبقنى أنت وسألحق
بك .

تحرك (وجدى) عدة خطوات إلى الأمام ، لكنه ما لبث
أن توقف ، وقد بدا له أنه قد تذكر شيئاً ، فعاد إلى أبيه ، قائلاً :
— بالطبع لست بحاجة لكى أذكرك بعدم الإفراط ، فى
إظهار المشاعر تجاه (فاطمة) وأبنائها ، كما هو الحال بالنسبة
لـ (وائل) ، حتى لا يلحظ أحد شيئاً .

قال (منصور) دون أن ينظر إليه :
— أعرف ما يتعين على أن أفعله ، ولست بحاجة لكى
تذكرنى بذلك .

وحدق فيه (وجدى) برهة ، ثم أطلق زفرة قصيرة ،
واستدار عائداً ..

إن تصرفاته تجاه أبيه تحمله عبئاً نفسياً كبيراً ، فكلما التقيا
وتحدثا معا انتابته مشاعر متناقضة ومتصارعة ، شعور بالبغض ،
وذكرىات الماضى التى تتراقص أمام عينيه ، بكل ما فيها من ألم
وشقاء ، عاشها على يد هذا الرجل الواقف أمامه ، والتى لم

* * * * * ٦٨ * * * * *

تنقض بابتعاده عنه وهجره لهم ، بل ظلت باقية فى نظرة الحزن
والألم ، التى كان يراها دائماً فى عيني أمه ، التى أحبها من كل
قلبه ، وكان يعرف ويدرك جيداً أنها كانت تحب أباه ، وبالرغم
من كل شيء ، وبالرغم من كل قسوته معها ، وأنها حزينة بسببه
ولأجله ، حتى قضى عليها هذا الحزن ، بالرغم من انقضاء
سنوات طويلة على الفراق ، وكان آخر ما رآه فى عينيها قبل
موتها ، تلك النظرة ، التى تحمل كل شقاء العالم ، بالرغم من
كل ما حاول أن يوفره لها من أسباب السعادة ..

وشعور آخر بتأنيب الضمير ، فهذا الرجل أبوه ، وهو يبدو
مخلصاً فى مشاعره الحالية تجاهه وتجاه أخته ، إنه يبدو بالفعل نادماً
على السنين التى فرقت بينهم ، ويحاول أن يعوضها برغبة
جامحة .. ولكنه عاجز عن أن يتجاوب معه فى عاطفته المشبوبة
هذه .. بل إنه يجد نفسه أحياناً كثيرة ، ودون وعى منه ، مندفعاً
إلى إيذاء مشاعره ، والتعامل معه بقسوة ، ثم لا يلبث أن يشعر
بالندم من أجل ذلك ..

ربما لأن مشاعره قد تجمدت تجاه أبيه ، بفعل السنوات
الطويلة التى باعدت بينهما ، وتلك الذكرىات المريرة ، التى
ترتد لعقله كلما رأى هذا الأب ..

* * * * * ٦٩ * * * * *

ولكن ليت الأمر يقتصر على مجرد المشاعر الجامدة فقط .
وليته يتوقف عن استخدام ذلك الأسلوب ، في التعامل معه ،
وتلك القسوة التي تكوى ضميره ، كلما وجد نفسه مندفعاً
للتصرف بها ، ودون وعى منه ..

وحتى لو نجح في السيطرة على مشاعره واندفاعاته ،
فالظروف تحتم عليه أن يتعامل معه ، على هذا النحو الذى
يضايقه ، تعامل الرئيس مع المرءوس .. إنه أمام الجميع حارس
وبواب لمنزله ، وأحياناً يقوم بدور الخادم ، بما يستتبعه ذلك من
قيامه ببعض الأعمال ، التي يضطرها إليه وضعه هذا ، كما أن
الآخرين يتعاملون معه بهذه الصفة ، وهذا يثير في نفسه الكثير
من الضيق ، ولكنه لا يجد حيلة إزاء ذلك ..

إنه مستعد لأن يدفع له ما يريد ، في مقابل أن يغادر هذا
المنزل ، فهو رجل يكره المشاكل ، ومتاعب الإحساس
بالذنب ، وكفاه مشاكل عمله ومتاعب طموحاته ..

بل إنه مستعد لأن يتغاضى عن كل ما بينه وبين أبيه من
ذكريات مريرة ، في مقابل أن يعفيه من كل تلك المتاعب ، التي
يسببها له وجوده معه ، ويجنبه ذلك الإحساس بالضيق والخطر ،
الذى يحاصره دائماً منذ أن التقيا ..

* * * * * ٧٠ * * * * *

ليته يتعد ولا يبقى بينهما ما يذكره به من خير أو شر ،
وهاهى ذى أخته في خلاف جديد مع زوجها ، والأمور بينهما
تتدر بالانفصال ، ما لم يحاول أن يتدخل في الأمر ، ويحسم هذا
الخلاف .. إنها مشكلة أخرى تضاف إلى مشكلته مع أبيه ، وهو
يكاد يشعر بالاختناق من تلك المشاكل ، التي أخذت
تحاصره ..

أما (منصور) ، فلم يكن هناك ما يشغله في هذه اللحظة
سوى قلقه على ابنته ..

إن معنى أن تأتى إلى منزل أخيها مع أبنائها ، أن هناك مشكلة
كبيرة بالفعل ، بينها وبين زوجها .. مشكلة تهدد حياتها
الأسرية .. وواجهه كأب يحتم عليه أن يتدخل ؛ لحل هذه
المشكلة ، ورأب الصدع ، الذى يهدد بيت ابنته وحياتها
بالانهيار ..

ولكن كيف السبيل إلى هذا وهو لا يستطيع القيام بدور
الأب ؟ ..

كيف السبيل إلى مساعدة ابنته ، إذا كانت حتى هذه
اللحظة تجهل أنه أبوها ، ولا يستطيع أن يخبرها بالحقيقة ؟
وكيف السبيل وبأى حق يتدخل ، وهو في نظر الجميع
(عبد التواب) البواب ؟ .. رجل على الهامش في حياة ابنه وابنته ..

* * * * * ٧١ * * * * *

كيف يمكنه مساعدتها وحل مشاكلها ، كأي أب آخر ،
دون أن يكشف الحقيقة ، والسر المجهول في حياته وحياة ابنه
وابنته ؟ ..

لا مناص إذن من الاعتماد على ابنه في حل هذه المشكلة ،
والوقوف إلى جوار أخته ، ما دام هو عاجزاً عن التدخل ..
يجب ألا يدع الأمور تتطور إلى ما هو أخطر ، ببقائها في
منزل (وجدى) ، بعيداً عن منزلها ، ويتعين عليه أن يساعده
في ذلك ، ويساعده على إصلاح الأمر .

بادر (وجدى) زوجته ، قائلاً :

— آسف يا (نجلاء) للتأخير ، ولكن ...
ولكنها قاطعتة قائلة :

— لقد فهمت كل شيء ، عندما رأيت (فاطمة) قادمة
معك ، ومعها حقائبها ، ولكن ماذا حدث ؟ إن (فاطمة) تبدو
منهارة تماماً .

نظر إليها واجماً ، وهو يقول :

— ستقيم (فاطمة) وأولادها معنا لبعض الوقت .

قالت :

*** * * * * ٧٢ * * * * *

— على الرحب والسعة .. ولكنك لم تخبرنى عما حدث
نظر إليها وقد ازداد وجوماً ، وقال :

— (منير) على علاقة بامرأة أخرى .

تطلعت إليه بدهشة ، مرددة :

— (منير) ؟ .. مستحيل !!

وجدى :

— لماذا .. مستحيل ؟ وهل هذه هى المشكلة الأولى

بينهما ؟

نجلاء :

— نعم .. أعرف أن هناك العديد من المشاكل والخلافات ،

التي لا تنتهى بينهما ، ولكن لم يتطرق إلى ذهنى أبداً أن يكون

(منير) على علاقة بأخرى .

وجدى :

— من هم على شاكلة (منير) لا تستبعدى عنهم أى شيء ،

(منير) إنسان وصى ، وهذا ما وجدته فيه منذ البداية ، ومنذ

أن وطئت أقدامه مصنعى ، والإنسان الوصولى ، الذى يسعى

وراء الغاية بأية وسيلة كانت ، يمكنه أن يفعل أى شيء ، ولقد

أعلنت رأيى هذا ، وقلته للجميع منذ الهولة الأولى . ولكن

* * * * * ٧٣ * * * * *

(فاطمة) كانت تحبه ، واستكانت أمها لرغبتها في الزواج منه ، فلم يكن أمامي إلا الرضوخ ، ولم أرد أن أبدو أمامهما متعتا ، وهذه هي النتيجة ..

أسرة كاملة مهددة بالانحيار ؛ بسبب نزوة شخص وصولي ، وأناي ، مخادع .

نجلاء :

— ليس هذا هو المهم الآن . المهم كيف ستعالج الموقف ؟ وزفر (وجدى) بضيق ، قائلاً :

— لا أعرف .. ولكن الأمور ستضح ، حينما أقابله غداً
نجلاء :

— حاول أن تسيطر على أعصابك ، وتذكر أن الحكمة مطلوبة ، في معالجة مثل هذه الأمور ، فهناك زوجة وأولاد وبيت .

قال بمرارة ، وهو يضرب بقبضته على الجدار :

— وكأني فرغت من كل ما ورائي من مشاكل ، حتى تبرز لي مشكلة (فاطمة) وزوجها أيضاً .

واقتربت منه (نجلاء) ، لتحيط ذراعه بيديها في حنان ، وهي تحاول امتصاص انفعاله ، قائلة :

— تذكر أنك أخوها الوحيد ، وليس لها سواك لتلجأ إليه ، في معالجة مشاكلها ..

والآن تخلص من هذه التقطية ، المرتسمة على وجهك ، وحاول أن تبدل بها ابتسامة لطيفة ، قبل أن ندخل إلى الردهة ، فلا يعقل أن تقابل ضيوفك وأنت واجم هكذا .

استمع إلى نصيحتها ، وابتسم .. ولكنها كانت ابتسامة عجيبة ..

ابتسامة ألم ..



٧- طريق النجاح ..

استدعى (وجدى) المهندس (منير) إلى مكتبه ، ومضت لحظات قبل أن يصل (منير) إلى المكتب ، وهو يخطو بخطوات تدل على لا مبالاة وتحذّر حقيقى ، قائلاً :

— هل طلبتني ؟

ودعاه (وجدى) إلى الجلوس ، قائلاً :

— اجلس .

وجلس (منير) على المقعد المواجه لمكتب (وجدى) ، واضعاً ساقياً فوق أخرى ، وهو مستمر فى مظهره اللامبالى ، فسأله (وجدى) ، وهو يحاول أن يسيطر على أعصابه :

— ماذا حدث بينك وبين (فاطمة) هذه المرة ؟

قال (منير) بتعال :

— ألم تخبرك أختك ؟

وجدى :

— بلى أخبرتنى .. ولكنى كنت أفضل ، أن أسمع منك أنت ، ولكنك لم تكن موجوداً بالمنزل أمس .

منير :

— ولن أكون موجوداً فيما بعد .

وجدى :

— هل صحيح أنك على علاقة بامرأة أخرى ؟

منير :

— نعم .. هذا صحيح تماماً .. وأنا فى طريقى للاقتران بهذه المرأة .

واحتدّ (وجدى) قائلاً :

— هل بلغت بك الجرأة والتجحج ، أن تقول لى هذا بتلك

الطريقة المباشرة .

قال (منير) بسخرية :

— حسناً .. قل لى الطريقة التى تفضلها ، لكى أطلعك على

الأمر .

وجدى :

— هل نسيت أنك زوج أختى ؟

استدار (منير) يواجه (وجدى) ، وفى عينيه غضب

جامح ، قائلاً :

— كلا .. إننى لم أنس هذه الحقيقة أبداً يا (وجدى) بك ..

فالسيدة أختك تذكرنى بها دائماً .. تذكرنى أنك الحاكم الآمر
 فى هذه المدينة ، وتذكرنى بأنه من حسن حظى ، ومن طالع
 سعدى ، أننى قد تزوجتها ، لأصبح صهراً للمليونير المرحوم
 (وجدى منصور) ، صاحب الأفضال العديدة على .. بدءاً من
 تعيينى فى مؤسسته ، وانتهاءً بذلك الراتب الشهري الإضافى ،
 الذى يدفعه لى فوق راتبى من المؤسسة ، للإتفاق منه على
 أسرتى ، والظهور بالمظهر اللائق ، والذى يتناسب مع مصاهرة
 رجل مرموق مثلك .. وليست هى وحدها ، بل أنت أيضاً ..
 أنت أيضاً لم تتوان عن تذكيرى بذلك ، وتعداد الامتيازات التى
 حصلت عليها ، بفضل زواجى من أختك .

قال (وجدى) ، وهو يتراجع بمقعده إلى الوراء :

— أليست هذه هى الحقيقة ؟ .. كان يتعين عليك ، وهى
 واضحة أمامك وضوح الشمس ، أن تكون أكثر حفظاً
 للجميل ، وأكثر مراعاة لمشاعر الرجل ، الذى حقق لك ما لم
 تكن تحلم به ..

فقد جئت إلى هذه المدينة مهندساً صغيراً ، لا يجد عملاً ،
 والعمل الوحيد الذى استطعت الحصول عليه هو وظيفة
 مندوب مبيعات ، لبعض المحال التجارية ، إلى أن بدأت تسج

* * * * * ٧٨ * * * * *

شباكك حول (فاطمة) ، مستغلاً عواطفها الساذجة ، وقلة
 خبرتها فى الحياة ، واستطعت التأثير عليها ، لتدفعنا إلى الموافقة
 على زواجك منها ، ولم يكن من المقبول بالطبع أن أدع زوج أختى
 يعمل مندوباً للمبيعات ، فكان أن عينتك مهندساً فى
 مؤسستى ، ومنحتك سيارة ومنزلاً وامتيازات لا يحلم بها أى
 مهندس كبير ، سبقك فى التخرج بعشرات السنين .
 منير :

— لا تقل لى : إنك فعلت هذا من أجلى ، بل ولا حتى من
 أجل أختك ، بل فعلته من أجل نفسك ..

من أجل وضعك الاجتماعى والمادى ، وطموحاتك التى
 لا تنتهى ، فعندما لم تستطع أن تمنع زواجى من أختك بالرغم
 من معارضتك الشديدة ، أصبح من المتعين عليك أن تعمل على
 وضع ذلك الزوج — المفروض عليك — فى المكانة التى تتلاءم
 مع اسم ومكانة (وجدى بك منصور) .
 وجدى :

— ليكن .. أننى فعلت هذا من أجل نفسى ، ولكنك
 لا تستطيع أن تنكر أنك قد استفدت من ذلك ، وأنت كنت
 تسعى من أجل ذلك .

* * * * * ٧٩ * * * * *

منير :

— إننى لم أنكر قيمة مساعداتك ، لكنك لا تستطيع أن تقول إننى لم أعمل بجد وإخلاص فى مصنعك ، وإننى عملت بجهد وكفاءة ؛ لأثبت لك أنك لم تخطئ فى تعيينى بمؤسستك ، وأننى كنت أستحق الراتب الذى أحصل عليه ، إذا ما تفاضينا عن الامتيازات الأخرى ، التى عادت بعض فوائدها بلاشك على أختك وأولادها ..

الآخرون لم ينظروا إلى كفاءتى وإخلاصى ، قدر نظرتهم وتغامزهم على كوفى صهر رئيس المؤسسة ، وأن كل ما أناله من امتيازات راجع إلى هذه الصلة ..

لقد أنكروا على كفاءتى بسببك ، حتى أنك لم تحاول أن تقدّرها حق قدرها ، وأنت تشاغل دائما بتعديد أفضالك وحسناتك على .. وكل هذا كان من الممكن تحمّله والتغاضى عنه ، لكن ما لم أستطع تحمّله ، هو أن يمتد ذلك إلى بيتى ، وإلى زوجتى وأمام أولادى ..

قال (وجدى) بجمود ، وكأنه معتاد سماع ذلك :

— هذا ليس جديدا بالنسبة لك ، وأنت تعرف طباع (فاطمة) ، وتعرف جيدا أنها لا تعنى دائما ما تقوله ، وإنما

* * * * * ٨٠ * * * * *

هى انفعالات الغضب ، وأعتقد أنه كان لها كل الحق هذه المرة فى انفعالاتها ، وفيما قالته ، ما دام الأمر يتعلق بوجود امرأة أخرى فى حياتك .

(منير) :

— لا .. ليست المشكلة مشكلة انفعالات ومشاعر غاضبة .. المشكلة الحقيقية هى أنك أنت وأختك لم تستطيعا أن تقتنعا ، أو تفهما أبدا أننى أحبيت (فاطمة) .. أحبيتها حقيقة وتزوجتها من أجل ذلك ..

كنت بحاجة إلى عمل جيد ، وإلى راتب جيد ، وكان لى الكثير من الطموحات ، مثل أى شاب آخر ، هذه حقيقة ، فلكل منا طموحاته المشروعة .. لكن الحقيقة أيضا هى أننى أحبيت (فاطمة) .. أحبيتها بإخلاص ، وطمّنت أن تكون زوجتى ، بغض النظر عن كونها أختك ، ودون أن يكون لذلك أية صلة بك ..

لم تكن (فاطمة) بالنسبة لى أبدا سلما للصعود إلى أعلى .. لقد فرحت بما قدمته لى من مساعدة ، وعاهدت نفسى على أن أعمل لك بإخلاص وجد ، يتناسبان مع ما قدمته لى من خدمات ، كما عاهدت نفسى على أن أكون زوجا وفيا ومخلصا

* * * * * ٨١ * * * * *

لزوجتي ، التي هي أختك وأن أكون جديراً بالمنصب الذي
حصلت عليه ، وبالزوجة التي أحببتها ، ولكنك لم تتوقف أبداً
عن النظر إلى كرجل وصولي ، وأن السبب الحقيقي وراء اقتراني
بأختك ، هو الحصول على مزايا مصاهرة (وجدى بك
منصور) ، أشهر أثرياء (بورسعيد) ، وظللت تغذى أختك
بهذا الاعتقاد الخاطي ، الذي استقر في وجدانك ، حتى تمكنت
في النهاية من ترسيب هذه الفكرة بداخلها ، أو على الأقل
استغلالها في النكاية بي ، كلما احتدم بيننا خلاف .
وجدى :

— ليس هذا هو موضوعنا الآن .. المهم أن تسرع بقطع
علاقتك بهذه المرأة التي عرفتتها فوراً ، وبعد ذلك نبحث في
كيفية تصفية آثار فعلتك هذه ، وحل مشكلتك مع (فاطمة) .
وأجابه (منير) على الفور ، قائلاً :
— آسف .. إنني لن أقطع علاقتي مع هذه المرأة ، بأي
حال من الأحوال فقد قررت الاقتران بها .
قال (وجدى) ، وهو يجتهد للسيطرة على أعصابه :
— و (فاطمة) والأولاد ؟
ورد (منير) بهدوء :

* * * * * ٨٢ * * * * *

— إنني تحت أمركا ، إذا أرادت أن تبقى على ذمتي ، فأنا
مستعد ، ولن أقصر في واجبي نحوها ونحو الأولاد ، وإذا أرادت
الطلاق فلن أمانع ، وأنا مستعد أيضاً للقيام بما علي من التزامات
في هذه الحالة .

قال (وجدى) ، وقد أطلت من وجهه ملامح الغضب :
— هل أنت مستعد لتحمل عواقب هذا الأمر ؟
منير :
— لقد فكرت كثيراً ، ومستعد لتحمل جميع النتائج .

وجدى :
— سأفصلك من العمل .

منير :
— أعرف هذا .

وجدى :
— وسأسحب منك السيارة ، وأطردك من المنزل ،
وأحرملك من أية امتيازات أخرى ، حصلت عليها بوساطتي .
منير :

— أعرف هذا أيضاً .. وقد كتبت بنفسى الاستقالة ،
وتركتها لدى مدير شئون العاملين ؛ ليعرضها عليك بعد
خروجي من هنا وتناول من جيبه سلسلة مفاتيح قدمها قائلاً :

* * * * * ٨٣ * * * * *

— وهذه هي مفاتيح السيارة والمنزل .

ونهب واقفاً ، وهو يضيف :

— وعلى كل حال ، أشكرك على كل ما منحتني من خدمات ، وما قدمته لي من مساعدات ، والآن اسمح لي أن أجمع أوراق من المكتب .

وهم بالانصراف ، لكن (وجدى) نهض من مقعده ، وهو يناديه بحدة .

— انتظر .

وقف (منير) بجوار الباب ، وعلى وجهه أمارات التصميم ، في حين قال (وجدى) :

— إنك لا تدري أية حماقة تلك التي ترتكبها .. لو كان الأمر بيدي ، لسعيت مخلصاً لإتمام هذا الانفصال ، فأنا مازلت أراك غير جدير بأختي ، ولكن الأولاد .. لابد من إيقاف هذه الحماقة من أجل أبنائكما .

منير :

— إنني أفعل هذا ، حتى لا أفقد احترامي أمام أبنائي .. لا أريد أن أرى في نظراتهم ، في المستقبل ما أراه في عينيك وعيني (فاطمة) الآن .. لا أريد منهم أن ينظروا إلى أبيهم ، على أنه ذلك

الرجل الوصولي ، الذي تزوج من أمهم ؛ لكي يصبح عائلة عليها وعلى خالهم .. وسيأتي وقت يدركون فيه هذا ..

وعلى كل حال ، فأنا لا أنوى التخلي عنهم ، كما لا أنوى أن أحرّمهم من أمهم .. اطمئن يا (وجدى) بك .. لقد فكرت في كل شيء ، وما أفعله لصالح الجميع . وأشار إليه (وجدى) بسبابته ، قائلاً :

— إنني أحذرك فأنا ...

لكن (منير) قاطعه بهدوء ، قائلاً :

— آسف .. لقد انقضى أوان التحذير .

ثم فتح الباب ليغادر الغرفة ..

وأسقط في يد (وجدى) ، فتهالك فوق مقعده ، وهو ينظر إلى الباب المغلق في وجوم ، ثم لم يلبث أن انتفض ، قائلاً في انفعال :

— سأجعلك تندم .. سأعرف كيف أجعلك تندم على هذا .

ولكنه سرعان ما تمالك نفسه ، ليتحوّل انفعاله إلى قلق وخوف ، وهو يردّد قائلاً لنفسه .

— هذا الطلاق سيكون له أثر سيئ ، على ترشيحي للانتخابات ، فلا شك أن البعض سيحاول استغلاله ضدي .

وعاد يقف من جديد ، وهو يدور حول مكتبه قائلاً :
— لا .. لا بد من منع هذا الطلاق بأى ثمن .. إننى لن أسمع
لشخص وضع كهذا أن يؤثر على سمعتى ، ومستقبلى
السياسى ..

لا بد من حسم هذا الخلاف بأى ثمن .. لا بد أن أجد وسيلة
لذلك .

وتوقف عن التفكير برهة ، ثم عاد يتوقف أمام صورته ،
الموضوعة على المكتب ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح
الازدراء فجأة ..

لقد بدا كما لو كان قد انتبه إلى حقيقة نفسه بغتة ، فالمسألة
إذن ليست مسألة خوفه على أخته ، وقلقه على أبنائها ..
إنه فى الحقيقة يفكر فى نفسه ، وفى تأثير طلاقها من زوجها
على سمعته ، وعلى الانتخابات التى ينوى خوضها ..

حتى فى مثل هذا الموقف العصيب ، وهو يرى حياة شقيقته
الزوجية فى طريقها إلى الانهيار ، لم يحاول أن يعالج هذا الصدع
من أجلها ، ومن أجل أبنائها برغم أنه كان صاحب تأثير — بلا
شك — على هذا الانهيار .. بل كان يعالج الأمر من مصلحته
الشخصية ، وكان يفعل ذلك حتى دون وعى منه ، فأنايته

سيطرت عليه ، وخوفه على نفسه وأطماعه جعلاً كل خطواته
وأفعاله دائماً تتحرك بآلية ، فى الوجهة التى تخدم مصالحه
الشخصية ..

ولكن هذه هى شخصيته ، وهكذا أصبح .. إنه رجل
أعمال ، ويسعى لهدف سياسى ، وفى السياسة ودنيا الأعمال
لا مجال للعواطف ، فالأنانية جزء من النجاح ، وحب الذات
هو الذى يساعد على التقدم إلى الأمام ، فلا مجال لمحاسبة
النفس ، ولا لتأنيب الضمير .. وأياً كان الأمر ، وسواء كان
يعمل لأجل نفسه أو من أجل أخته ، فهذا الطلاق يجب ألا يتم
لصالح الجميع .
— أبداً ..



أخذ (منصور) يلهث من شدة التعب ، وهو يركض وراء (وائل) وأولاد ابنته ، يتحاور ويلعب معهم في الحديقة ، وقد تعالت ضحكاته وضحكاتهم ، ثم لم يلبث أن توقف عن اللعب ، قائلاً :

— كفى يا أولاد .. هذا يكفى اليوم ؛ فقد تعبت .

تثبت أحد أبناء ابنته بجلبابه ، قائلاً :

— كلا يا عم (عبده) .. نريد أن نلعب معك الكرة . ضحك قائلاً :

— هل تظنوننى صغيراً مثلكم ؟ لقد تجاوزت الستين .. قال (وائل) :

— ولكنك تجارينا في اللعب براءة .

أحضنه (منصور) ، قائلاً :

— هذا لأننى أحبكم ، وأسعد بمشارككم اللهو .

تناول أحد الأولاد يديه ، وهو يجذبه إلى الفناء الصغير ،

القريب من الحديقة ، قائلاً في إلحاح :

* * * * * ٨٨ * * * * *

— إذن هيا بنا .. هيا لنلعب الكرة .

وفي أثناء ذلك ، لمح (منصور) ابنته ، وهى تتخذ لنفسها مكاناً قصياً من الحديقة ، لتجلس فوق أحد المقاعد ، وقد بدت أمارات الحزن واضحة في عينيها ، فقال للأولاد ، وهو يراقب ابنته :

— أعدكم باللعب معكم بعد قليل ، ولكن الآن عليكم باستذكار دروسكم أولاً ، وسوف أنادى عليكم بعد ساعتين ؛ لاستئناف اللعب معاً .

قال له أحد الأولاد محتجاً :

— كلا نريد أن نلعب معك الآن .

واصطنع (منصور) الصرامة على وجهه ، قائلاً :

— هأنتم أولاء قد بدأتُم تغضبوننى ؛ لأنكم لا تسمعون الكلام ؛ فإذا لم تعودوا إلى القيلا الآن لاستذكار دروسكم ، فسوف أحاصمكم ، وأتوقف عن مشاركتكم اللعب .

قال (وائل) سريعاً :

— كلا يا عم (عبد التواب) .. إننا سنسمع كلامك .

قالت الطفلة الصغيرة :

— ولكننى أريد أن ألعب الآن .

* * * * * ٨٩ * * * * *

قال (وائل) ، وهو يتناول يد الصغيرة :

— هيا نعود إلى القِلا ، وإلا خاصمنا عم (عبده) ،
وامتنع عن اللعب معنا .

وتقدّمت الصغيرة من (منصور) تمسك جلبابه ، قائلة :

— هل ستخاصمنا حقًا يا عم (عبده) ؟

جثا الرجل على إحدى ركبتيه ، ليحتضن الصغيرة ، وهو
يضم معها بقية الأبناء إلى صدره في حنان ، قائلاً :

— لا أظن أنني أستطيع أن أفعل ذلك أبداً .

قال أحد الأبناء ، وهو يلقي برأسه على كتف (منصور) :

— إننا نحبك كثيراً يا عم (عبده) :

ومسح الرجل على رأس الطفل في حنان ، قائلاً :

— وأنا أيضاً أحبكم كثيراً .. كثيراً جداً .. أكثر مما
تصورون .

سمع الجميع صوتاً يقول :

— ومع ذلك فيجب أن تنفذوا ما قاله لكم عم
(عبد التواب) ، وتعودوا إلى المنزل للاستذكار ، وإلا غضبت
أنا أيضاً منكم .

وفوجئ (منصور) باقتراب زوجة ابنه ، فهبّ واقفاً ،

وهو يقول بمرج :

— أهلا بك يا هانم .

راقبت (نجلاء) انصراف الأبناء ، عائدتين إلى القِلا ، ثم
التفتت إلى (منصور) تحدّجه بنظرات نفاذة ، وكأنها تريد أن
تنفذ إلى أعماقه ، قائلة :

— أرى أن الأولاد قد أصبحوا يقضون معك وقتاً طويلاً ،
على حساب استذكارهم ، ولا أحب أن تشجّعهم على ذلك .
قال (منصور) :

— أنا آسف يا هانم .. ولكن صدقيني ، إنني أحثهم دائماً
على الاستذكار ، وكل ما هنالك أنني أشعر بأنهم كما لو كانوا
أبنائي ، أو أحفادي ، فأقضي معهم بعض الوقت ، في اللهو
والترويح قليلاً .

ظلت (نجلاء) تحاصره بنظراتها ، وهي تقول :

— لقد لاحظت أنك أصبحت متعلّقاً بهم كثيراً .

قال سريعاً :

— جداً .. جداً يا هانم .

نجلاء :

— وهم أيضاً أصبحوا شديدي التعلّق بك .

منصور :

— بارك الله فيهم .. إنهم كالملائكة .

نجلاء :

— ولكن ماذا ستفعل ، إذا ما غادرت (فاطمة) وأبنائها
القيلا ذات يوم ؟

منصور :

— سأفقدكم كثيرا ، ولكنني سأحاول زيارتهم من آن
لآخر ، إذا ما أذنتم لي ، وأذنتم لي (فاطمة) هانم .

نجلاء :

— ألا ترى ذلك غريبا بعض الشيء ؟

منصور :

— لست أدري يا هانم .. ماذا تعنين ؟

نجلاء :

— أعني ذلك التعلق الشديد ، الذي يجمع بينك وبين
الأولاد .

منصور :

— ليس في ذلك ما يثير الاستغراب .. رجل عجوز وحيد ،
حرم من الأبناء .. أسعده وجود هؤلاء الملائكة الصغار حوله ،
فبادلهم حبا بحب ، وأصبح شديد التعلق بهم .

* * * * * ٩٢ * * * * *

وهزت (نجلاء) رأسها ، وكأنها تحاول أن تقنع نفسها بما
قائله ، مرددة :

— نعم .. الأمر على هذا النحو يبدو منطقيا .

وصمتت برهة ، ثم عادت تقول :

— ولكن ...

سألها (منصور) :

— ولكن ماذا ؟

نجلاء :

— لا أعرف لماذا يبتابني إحساس ، بأن الأمر ينطوي على
شيء أكثر من هذا ؟

منصور :

— وما الذي يمكن أن تنطوي عليه علاقتي هؤلاء الصغار ،
أكثر مما قلته ؟

قالت (نجلاء) ، بعد برهة من التردد :

— الأمر لا يتعلق بالصغار فقط ، ولكن بالكبار أيضا .

منصور :

— لا أدري ما الذي تقصدينه يا هانم ؟

قالت (نجلاء) ، وفي صوتها شيء من العصبية :

* * * * * ٩٣ * * * * *

— أقصد تلك المحادثات الجانبية ، والهمس الذى يدور بينك وبين (وجدى) فى كثير من الأحيان ، والذى يتوقف على الفور حينما تريانى مقبلة .. هناك أمور خفية لا أفهمها ، تربط بينك وبين زوجى .

منصور :

— عفواً يا هانم .. أؤكد لك أن الأمر لا يعدو كونه مصادفة .

قالت متهمكة :

— مصادفة ؟! على كل حال سيأتى اليوم الذى أعرف فيه تلك الحقيقة ، التى تسعى إلى إخفائها ، والسبب الحقيقى ، الذى جاء بك (وجدى) من أجله إلى هنا .
ثم تركته وانصرفت . وقف ينظر إليها بقلق ، ثم قال لنفسه :
— يبدو أننى لم أكن حريصاً بالقدر الكافى ، فقد بدأت ألفت الأنظار ، وهذا سيضر حتماً بوجودى .

ولكنه سرعان ما توقف عن هذا التفكير ، ووقف يرقب ابنته الحزينة ، وقد آلمه أن يرى فى عينيها تلك النظرة الشاردة ، ويبدو أن الابنة قد لاحظت وجوده ، فنظرت إليه بدهشة ممزوجة بالغضب ، قائلة :

— أكلما ذهبت إلى مكان أراك ورائى ، وأنت تحملق فى هكذا ؟

* * * * * ٩٤ * * * * *

اقترب منها قائلاً ، وفى صوته نبرة إشفاق :
— عفواً يا بنيتى ، ولكننى أكره أن أراك حزينة هكذا .
وأثارت كلمته انفعالها ، فقالت له :
— ومن قال لك إننى حزينة ؟ .. بل من أعطاك الحق فى أن تتدخل فى أحاسيسى على هذا النحو ؟
منصور :

— إننى أعدك مثل ابنتى تماماً ، وكنت أفكر إذا ما كان بإمكانى مساعدتك بشيء ما .
قالت ، وقد زاد انفعالها :
— لكننى لا أَرْضَى أن تكون بمثابة أب لى ، فأنت هنا حارس لهذه القिला فقط .. هل تفهم ؟
وأطرق برأسه فى أسى ، قائلاً :
نعم .. أفهم .. آسف يا (فاطمة) هانم .
وقالت ، وهى مستمرة فى انفعالها .

— حسناً .. والآن وقد فهمت ، هل تتكرم بمغادرة هذا المكان ، وتتركنى بمفردى ؟
ورد عليها ، قائلاً :

— حسناً .. كما تحبين سأتركك بمفردك ، ولكن تأكدى أننى سأكون مستعداً دائماً لعمل أى شيء تريدنيه منى ، والتدخل لمساعدتك على أى نحو ، أيّا كان الأمر .

* * * * * ٩٥ * * * * *

وازدادت حديثها ، وهي تقول :

— ومن قال لك إننى أريد مساعدتك ؟ ومن تكون أنت حتى تمد لى يد المساعدة ؟
أجابها بانكسار :

— رجل بسيط وعجوز ، لكنه مستعد أن يجود بحياته فى سبيل إسعادك .

واستدار عائدا لتركها بمفردها ، وهي تنظر إليه باستغراب ودهشة ..

لماذا يبدى هذا الرجل كل ذلك الاهتمام المبالغ فيه نحوها .. إنه يبدو صادقا ومخلصا فيما يقول بالفعل ، وهناك نبرة حنان وتعاطف أبوى فى صوته وهو يخاطبها ، وكذلك معاملته لأبنائها .. إنها تلمس فيها ذلك الحنان والحب الأبوى أيضا .. هل يكون سببه حرمانه من الأبناء ؟ أم أن الرجل من النوع العاطفى ، الذى يتجاوب سريعا مع آلام البشر وأحزانهم ، ويسعد بإسعاد الآخرين ؟ ..

لكن ملامحه لا تدل على ذلك .. وقد كانت الملامح هى التعبير الحقيقى عما تحتزنه قلوب الآخرين ؟ ..
إنها تشعر ، كلما التقت به ، أنه يكن لها فيضا من المشاعر ،

ومن الغريب أنها هى نفسها تشعر بهذا الإحساس الخفى نحوه ، وهو إحساس يدهشها ويثير توترها ، أتكون هى الأخرى قد وجدت فيه ذلك الأب ، الذى فقدته وهى طفلة صغيرة ، لا تتجاوز الثلاث سنوات ؟

وتمتت قائلة لنفسها :

— نعم .. أبى .. ليته كان موجودا الآن ..

من المؤكد أنه كان سيفهمها ويحس معها محتها ويقف إلى جوارها ، فهى فى طريقها إلى أن تفقد (منير) .. تفقد زوجها ، وتفقد معه الحب .. والرعاية .. والمنزل الذى ضمهما وأولادهما ؛ بسبب تلك المرأة الأخرى ، التى تسلفت إلى حياتهم لتدمرها ..

ولكن ما ذنبها ؟ .. الذنب ذنبه هو .. هو الذى خانها ، وباع حبها له ..

هو الذى قرر أن يضخى بها وبيته وأولاده ؛ من أجل تلك المرأة .. بل والأكثر من ذلك فهو يتبجح بأنها كانت مسئولة عن ذلك ، وأنها أذلت كبرياءه وكرامته ، فدفعته نحو تلك المرأة دفعا .. ويا لها من مبررات ، تلك التى يتخذها أولئك الأزواج الخائنين ، ليبرروا بها خيانتهم ، وجرمهم فى حق أسرهم ..

وارتسمت على ملامحها بعض معالم الإحساس بالذنب ،
وهي تردّد قائلة :

— ولكن أليس فيما قاله لى ولد (وجدى) جزء من
الحقيقة ؟

إنها بالفعل لم تتوقف عن معاملته بصلف وكبرياء ، على
الرغم من الحب الكبير الذى جمع بينهما ..

لقد سيطرت عليها فكرة أنه يستغلها ويستغل نفوذ أخيها ،
ولم تستطع أن تقاومها ، بالرغم من أنها كانت مقتنعة تمامًا بأنه
يحبها ، وكان يحبها لذاتها ، يوم وافقت على الاقتران به ، وتحدّث
رأى أخيها فيه ، وفى أنه إنسان وصى ، لا يهدف من وراء
اقتراحه بها سوى تحقيق مصلحته ..

لكن من الغريب أنها سرعان ما استسلمت لهذا الرأى تمامًا ،
بعد زواجها منه ..

وربما كان السبب فى ذلك هو اهتمامه البالغ بعمله على
حسابها ، وطموحه المغالى فيه ، وتلك المزايا التى أخذ يحصل
عليها من أخيها ، كما كان لاستمرار (وجدى) فى العزف على
تلك النغمة ، وتأكيده المستمر . بأن (منير) ليس سوى
شخص وصى ، اتخذ من زواجه منها وسيلة لتحقيق مصالحه

* * * * * ٩٨ * * * * *

الشخصية ، كان لذلك أثره فى تثبيت هذه الفكرة فى رأسها ،
واتخاذها وسيلة لمهاجمته ، كلما حدثت مشاجرة بينهما ، أو كلما
لاحظت انصرافه عنها وإهماله لها ، عما كان عليه قبل الزواج ..
ربما كانت قد أخطأت .. وربما كان يتعين عليها أن تنظر إلى
زوجها نظرة أخرى مختلفة ، عن تلك التى ترسّبت فى نفسها ،
ولكن أيّا كان الأمر ، فهى لن تغفر له أبدًا خيانتة لها ، وتضحيتها
بها وبأبنائه ، من أجل تلك المرأة الأخرى ، التى سمح لها أن
تدخل حياته ..

وسرعان ما انحدرت عبرة فوق وجنتيها ، وهى تعضّ على
شفتيها ، قائلة لنفسها بأسى :

— المشكلة أننى ما زلت أحبه ، بالرغم من كل شيء ، فما
زلت أحبه ، ولا أطيق فكرة ابتعاده عنى ..
نعم هذه هى الحقيقة ، التى لا أستطيع أن أعترف بها لأحد
سوى نفسى .

وصدرت عنها تنهيدة قوية ، كما لو كانت تشق صدرها شقًا ،
وهى تقول :

— آه يا أمى ليتك كنت إلى جوارى الآن ، ولم يفرّق بيننا
الموت ، فأنا بحاجة إلى صدرك الحنون يضمّننى إليه .. بحاجة إلى

* * * * * ٩٩ * * * * *

أن أشكو لك همي ، وأفرغ في أحضانك حزني .. أنت وحدك
كنت ستفهميني وتعملين على مساعدتي .. ف (وجدى)
لا يفكر إلا في نفسه ، ويعالج الأمر بأنانيته المعهودة ، كما أنه
لن يستطيع أن يحس بي أو يفهمني أبدًا ، وأنت يا أبى .. أين
أنت ؟ .. أين ذهبت وتركتني ؟ لماذا تخليت عنا هكذا كل هذه
السنين ، دون أن تبحث عنا وتحيطنا برعايتك ؟
أنا بحاجة ماسة إليك .. أحيى أنت أم ميت ؟
وإذا كنت حيًا ، فكيف هان عليك ابنك لتخلي عنهما
هكذا ؟ إننى لا أتذكرك .. بل لا أتذكر ملامحك ، ولم أعش
في كفك من السنين ذلك القدر ، الذى يمكن أن يجعلنى
أفتقدك ..

ولكننى لا أدري لماذا أشعر بأننى أفتقدك حقيقة ، وأبحث
عن وجودك كلما نظرت في وجه ذلك الرجل العطوف
(عبد التواب) ، وأحسن بصدق لمستة الأتوية حوى
وسمع (منصور) عددًا من الطرقات على باب غرفته ،
فنهض متثاقلاً من فوق سريره ، ليفتح الباب ، حيث وقف ينظر
في دهشة إلى (فاطمة) وهى تقف أمامه ، وفوجئ بها تنتحب
قائلة .

* * * * *

— عم (عبده) .. إننى بحاجة لأن أطرح عليك همومى .
وتفجّر في أعماقه ذلك الينبوع ..
تفجّر غزيرًا .. وعميقًا .

* * *



* * * * *

٩ — الخطيئة والظلم ..

بقدر سعادته ؛ لأن ابنته لجأت إليه ، وأحسّت بدافع غريزي أنها في حاجة إلى معاونته ، بقدر ما أحزنه ذلك الشعور بالعجز ، وعدم مقدرته على تقديم مساعدة حقيقية لها ، وأحسّ بقلبه يكاد ينفطر وقد رآها تتألم أمامه على هذا النحو ، دون أن يقوى على فعل شيء ، فقد باءت كل محاولات (وجدى) مع زوج شقيقته بالفشل ، والأبناء لا يتوقفون عن السؤال عن أبيهم ، والابنة تحاول إرضاء كبريائها بطلب الطلاق ، في حين يقول حزنها ودمعها شيئاً آخر ، ويشيان بمدى حبها لزوجها ولوعتها لفراقه ؛ لذا كان عليه أن يتدخل بأى شكل ، وأيا كانت المخاطرة ..

لقد قرر أن يقوم بدوره كأب ، ومثل أى أب حريص على مستقبل ابنته وأولادها ، لا بد أن يكون له دور ، ودور حقيقى لمساندة ابنته ..

كان كل هذا يدور فى رأس (منصور) ، وهو فى طريقه إلى ذلك المنزل الصغير ، الذى يقع فى أحد ضواحي المدينة ،

* * * * * ١٠٢ * * * * *

والذى وقف يطرق بابه فى صمت ، حتى فُتح الباب ، وظهر (منير) ، الذى نظر إلى (منصور) بفضول ، قائلاً :

— ماذا تريد ؟

منصور :

— هل تسمح لى بالدخول ؟

تمعن فيه ، وبدأ له وجهه مألوفاً ، وسمعه يقول :

— ألا تعرفنى يا (منير) بك ؟

منير :

— يخيل إلى أننى رأيتك من قبل .. آه تذكرت .. أنت ذلك

الرجل ، الذى يعمل فى فيلا (وجدى منصور) .. أليس كذلك ؟

منصور :

— بالضبط .

قال (منير) بحفاء :

— وماذا تريد ؟

منصور :

— أريد أن أتحدث معك قليلاً .

منير :

* * * * * ١٠٣ * * * * *

— عن أى شيء .

منصور :

— اسمح لى بالدخول أولاً .

وبعد لحظة من التردد تنحى (منير) جانباً ، ليفتح له المجال للدخول ، ودخل (منصور) ، وهو يفلق الباب خلفه ، حيث بادره (منير) قائلاً :

— لقد قدمت لـ (وجدى) كل متعلقاته لدى .. مفاتيح المنزل .. والسيارة ولم آخذ معى ، إلى هذا المنزل ، سوى حقيبة ملابسى ، فما الذى يريد منى بعد ذلك ؟

قال له (منصور) بهدوء :

— ومن قال إنه يريد منك شيئاً ؟

منير :

— إذا كانت (فاطمة) مصرة على الطلاق ، فسوف أرسل لها ورقة طلاقها خلال هذا الأسبوع .. قل لهم هذا . وردّ عليه (منصور) ، دون أن يتخلّى عن هدوئه :

— لم آت من أجل هذا أيضاً .

قال (منير) ، وقد بدا نافذ الصبر :

— إذن فلماذا أرسلوك إلى ؟

منصور :

— إن أحداً لم يرسلنى إليك .. لقد جئت لمقابلتك من تلقاء

نفسى .

نظر إليه (منير) بدهشة ، قائلاً :

— لماذا ؟

منصور :

— لأمنعك من ذلك الخطأ الكبير ، الذى تنوى أن ترتكبه

فى حق نفسك وفى حق زوجتك وأسرتك .

قال له (منير) بسخرية واستهزاء :

— تمنعنى .. أنت ؟

منصور :

— نعم .. أنا .

ونفض (منير) واقفاً ، وهو يقول بانفعال :

— اسمع أيها الرجل .. قل لمن أرسلوك .. إنه لا داعى لهذه

المناورات ، ومحاولة استخدام أمثالك مرة أخرى للتحايل ، فقد

انتهى الأمر بالنسبة لى ، وسوف أغادر (بورسعيد) ومعى

زوجتى الجديدة ، خلال الأيام القليلة القادمة .

قال له (منصور) بانزعاج :

— هل تزوجت ؟

منير :

— وما شأنك أنت ؟

منصور :

— أجبني بالله عليك .. هل تزوجت من تلك السيدة

الأخرى ؟

منير :

— سيم كل شيء خلال اليومين القادمين .

تمم (منصور) قائلاً :

— الحمد لله .. لم يفت الأوان بعد .

قال له (منير) :

— على كل حال ، يمكنك أن تخبرهم بأن الأمر قد انتهى .

نظر إليه (منصور) قائلاً :

— اسمع يا بني .. تأكد أنني لم آت إلى هنا ، بناءً على تكليف

من أحد .. لقد جئت إليك من تلقاء نفسي ، لأناشدك الحفاظ

على أسرتك وأبنائك وزوجتك ..

جئت لأخاطب فيك إحساسك بالأبوة والمسئولية ، لكي

لا تضيع كل شيء في مقابل نزوة طارئة ، أو كبرياء مبالغ فيه ،

* * * * * ١٠٦ * * * * *

فزوجتك وأبنائك هم الأبقى لك من كل شيء ، وهم الذين
يستحقون منك أن تتحمل وتكابد من أجلهم .

قال (منير) بانفعال :

— وبأي حق تسمح لنفسك بالتدخل في أمر كهذا ؟ إنك

لست سوى أجير ، يعمل في منزل (وجدى) .

منصور :

— يمكنك أن تقول إن الواجب الإنساني ، وفضل هذه

الأسرة على ، هو الذي دفعني إلى ذلك .

قال (منير) متهمًا :

— حسنًا .. إذا كان الأمر كذلك ، فقد أديت ما عليك

من واجب ، نحو تلك الأسرة ، ونحو إنسانيتك ، لكن ذلك

لن يغير من الأمر شيئًا ..

لقد اتفقت مع تلك السيدة التي سأزوجها ، ولن أخذها .

منصور :

— وتدخل زوجتك وأبنائك ؟

منير :

— لقد خذلتني زوجتي من قبل ، عندما لم تقدر قيمة حبي ،

واستهانت بكرامتي كرجل .

* * * * * ١٠٧ * * * * *

منصور :

— لكنها تحبك ، وقد أحست بخطئها ، وهي تريد

استعادتك .

منير :

— وما الذى يجعلك متأكدًا من ذلك ؟

منصور :

— ما أراه أمام عيني .. شرودها .. حزنها الدائم .. بكائها

صورك وخطاباتك القديمة ، التى تطالعها خلسة .

منير :

— هل طلبت منك أن تقول لى هذا ؛ لكى تؤثر على ؟

قال (منصور) بغضب :

— إنها لم تطلب منى أى شئ ، وهى لا تسعى إلى التأثير

عليك على أى نحو ، بل إن كبرياءها يجعلها تصر على الطلاق ،

وإن كانت مشاعرها ، كما أراها ، تقول غير ذلك .

وعاد (منير) إلى السخرية ، قائلاً :

— هل عينك (وجدى) لحراسة منزله خفيراً ، أم

شاعراً ؟

منصور :

— اسخر منى كما شئت ، لكن فكر فى الأمر .. راجع

* * * * * ١٠٨ * * * * *

نفسك ولا تشئت شمل أسرتك وأبنائك ، فقد يأتى اليوم الذى
تندم فيه أكبر الندم ؛ لأنك تسببت فى فك أو اصر تلك الأسرة
الرائعة ، التى من الله بها عليك ، وتذكر أى جرم ذلك الذى
ارتكبته فى حقهم وحق نفسك ، وقد يأتى هذا فى وقت لا ينفع
فيه الندم .

قال (منير) بغضب :

— هل جئت إلى هنا ؛ لتلقى على محاضرة أخلاقية ؟

منصور :

— بل لأروى لك تجربة إنسانية مؤلمة .

منير :

— لست مستعداً لسماع روايات ، فأنا مشغول ووقتي

ضيق .. والآن تفضل بالانصراف .

منصور :

— اسمع منى أولاً ، وبعدها سأنصرف ، ولن تجد بعد ذلك

من يقول لك كلمة واحدة ، فى ذلك الأمر الذى تنويه ،

ولتستمر فيما اخترته لنفسك كما تشاء .

قال (منير) متأفقاً :

— تفضل قل ما عندك .. ولكن اختصر ، فوقتي ضيق .

* * * * * ١٠٩ * * * * *

منصور :

— منذ سنوات بعيدة كان هناك رجل متزوج من امرأة رائعة ، أحبته وأحبها ، وأنجب منها طفلاً وطفلة . كانا كفيلين بأن يملأ عليه حياته ويسعداه ، ويكونا سنداً له في شيخوخته ، والنبع الذي ينهل منه الحب والدفء والحنان في وحدته ، بعد أن انفض عنه الجميع ، لكن الرجل لم يقدر قيمة النعمة التي منحها الله له ، وجحد بها ، لم يقدر وقتها قيمة الزوجة والأبناء والأسرة ، ومسئوليته كأب نحوهم ، فترك نفسه لأصحاب السوء ، يصطحبونه إلى سهراتهم ، ويقودونه إلى رذيلة تعاطي المخدرات ، حتى تحوّل على أيديهم إلى مدمن ، فأهمل عمله ، وتوقف عن الإنفاق على أسرته ، بل ترك زوجته تعمل بدلاً منه ؛ لتتفق عليه وعلى أولاده ..

ويا ليتة قابل ذلك بشيء من التقدير ، وحرك فيه شيئاً من نخوة الرجولة ، أو الإحساس بمسئولية الأب ، لكنه أحسن بالعجز والضعف ، أمام زوجته وأولاده ، فدفعه ذلك إلى مقابلة حرصهم عليه وتحملهم له ، مع كل ما سببه لهم من هموم ومتاعب ، بالمزيد من الأذى والقسوة على زوجته الصابرة الوفية ، وعلى أبنائه ، ورفض كل محاولاتها لمساعدته على

*** ١١٠ ***

العلاج ، والتخلص من ذلك الداء اللعين ، وأصبح يسلبها حتى تلك النقود القليلة ، التي كانت تجمعها من عملها لدى الآخرين ، والإعانة التي كان يرسلها إليها أخوها ، والتي أراقت ماء وجهها من أجلها ، كي تنفق منها على إطعام أسرتها ، وتعليم أبنائها .. أخذ يسلبها تلك النقود ، ويستخدم في سبيل ذلك كل ما يعن له من قسوة ، لكي ينفق منها على سهراته ، ورذيلة الإدمان التي تمكّنت منه ..

كان يشعر في كل ليلة ، يعود فيها إلى منزله بالندم ، ويغلق على نفسه الباب ؛ ليكي على نفسه أسفاً ، على ما صار عليه الحال ، بالنسبة له ولأسرته ، ثم يقسم على أن يتوقف عن الرجوع إلى تلك العادة الرذيلة ، وأن يعود إلى عمله الذي أهمله ، وإلى ممارسة دوره كأب ، وأن يعوّض زوجته وأولاده عن كل ما سببه لهم من متاعب وآلام ، لكن سرعان ما يجد نفسه في الليلة التالية ، وقد نسي ما عاهد نفسه عليه ، وعاد إلى رذيلته المدمومة ، فقد كان أعجز من مقاومة ذلك الداء ، وبالرغم من محاولات شقيق زوجته المستمرة ؛ لإبعادها هي وأولادها عن ذلك الأب المدمن وشروره ، وإقناعها بأن تأتي لتعيش معه هي وأولادها ، لتبقى في رعايته ، إلا أن الزوجة

*** ١١١ ***

المخلصة ، التي لم تتوقف عن حب زوجها ، بالرغم من كل شيء ، كانت ترفض أن تتخلى عنه ، وكانت ترد دائما أن لديها أملا في إصلاحه ، وعندما سمع الزوج ذات يوم شقيق زوجته ، وهو يهددها بقطع أى معونة عنها وعن أولادها ، ما لم تترك ذلك المنزل ، وتأتى لتعيش في منزله ، تاركة ذلك الزوج المدمن ، جلس يفكر ، وهو ينصت إلى بكائها في الغرفة المجاورة .. لقد كانت تحصل من أخيها على الجانب الأكبر من تلك النقود ، التي تنفق منها على نفسها وعلى أبنائها ، وامتاع أخيها عن معاونتها بتلك النقود سيعنى مزيدا من الشقاء والحرمان لأبنائها ولها .. كان أمام أمرين ، إما أن يتوقف عن ذلك الداء الرذيل ، ويعود إلى عمله ، وينفق على أسرته ، وهو ما حاول أن يجربه فعجز عن تنفيذه ، وإما أن يستمر في تركه لأسرته تواجه ذلك الشقاء ، ويستمر في قيامه بدور البلطجى ، الذى يستولى على النقود القليلة التي تتوافر في المنزل ، من أجل الإنفاق منها على المخدر ، وهو الشيء الذى كان يجد نفسه مضطرا إليه اضطرارا ..

كانت مقاومته لنفسه ، وعودته إلى عمله بإصرار وعزيمة ، من الأمور الشاقة والصعبة ، خاصة بالنسبة لرجل مدمن ،

***** ١١٢ *****

ولكنه لم يكن أمرا مستحيلا ، إذا كان صادق العزيمة بالفعل ، وإذا كان لديه من الإخلاص ما يماثل زوجته ، وإصرارها على التحمل ، لكنه اختار الأمر السهل ، الذى لا يعبده عن المخدر الذى استولى عليه ، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون عاملا مساعدا في إنقاذ هذه الأسرة ، فجمع حاجاته ذات ليلة ، وهجر المنزل .. هجره ولم يعد إليه أبدا .. كان يظن أنه بذلك يساعد أسرته ، وينقذها من الضياع ، فلا يضطر إلى ممارسة دور البلطجى ، واستعمال القسوة والعنف كل ليلة ؛ للحصول على ثمن المخدر ، من النقود القليلة التي تتوافر لدى زوجته ، وفي نفس الوقت يتيح لها أن تعيش بجوار أخيها ، بعيدا عنه في مناخ نظيف ، يمكن أن يوفر لها ولأبنائها حياة آمنة وسعيدة ومستقرة ، فلن يعود هناك مبرر لبقائها بعد رحيله ، وأحسن أيضا أنه بذلك ينقذ نفسه ، من إحساسه بمرارة العجز والضعف والمهانة ، أمام زوجته وأولاده ، والتي كان يراها ماثلة في عيونهم ، جنبا إلى جنب ، مع نظرة الكراهية ، التي كان يراها في عيني ابنه الصغير ، كلما عامله أو عامل أمه بقسوة ، وكلما تصادف وراه ، وهو يعود كل ليلة من سهراته فاقد الوعي والإحساس .. وكما قلت لك : لقد اختار الطريق السهل ؛ لينقذ

***** ١١٣ *****

به أسرته وكبرياءه المهانة ، ونظرات الكراهية في عيون ابنه ..
وهو طريق الهروب ، دون أن يلجأ إلى الطريق الصحيح ، الذي
كان يمكن له به أن يحفظ كرامته ورجولته ، ويصون به أسرته ،
وهو مقاومة النفس ، والإصرار على التوقف عن ذلك الداء
اللعين ..

وأسلم ذلك الرجل نفسه إلى تجار السموم ، فتحوّل على
أيديهم من مدمن إلى مروج أيضاً ، إذ كان بحاجة إلى نقود ،
يصرف منها على إدمانه ، ولم يكن أمامه سوى أن يعمل لحساب
أولئك الذين يجرعونه السم ، إلى أن ألقى القبض عليه ، وأودع
السجن .. وكان عليه بعد ذلك ألا يخرج من المنزل ، الذي ضمه
وضم أبناءه فقط ، ولكن من حياتهم أيضاً .. وإلى الأبد ..
إنه لم يجلب لهم سوى المعاناة والشقاء والألم ، فلا أقل من
أن يبعدهم عن أية صلة تربطهم بأب وزوج مجرم ، يمكن أن
يشينهم ..

وهكذا قرر أن يبعدهم عن حياته تماماً ، وأن يصبح بالنسبة
لهم ميتاً ، وهو على قيد الحياة ..

ولم يكن هذا بأى حال من الأحوال تضحية أو إثارة منه ،
بل كان عليه أن يدفع ثمن ما اقترفته يده في حقهم ، وبعد أن

* * * * * ١١٤ * * * * *

أصبح غير جدير بأن يكون أباً وزوجاً ورب أسرة ، وبعد أن
أصبح لا يشرفهم لا في ماضيهم ولا في حاضريهم ولا في
مستقبلهم .. ومُرّت سنوات طوال .. سنوات ذاق فيها ذلك
الرجل مرارة الوحدة والحرمان من أسرته ، ومن دفء الحب
والحنان ، الذي يجمع بين كل رجل وزوجته ، وبين كل أب
وأبنائه ..

كان قد غادر السجن ، ثم غادر بعدها البلاد أيضاً ، وبقي
مستمرّاً في عهده مع نفسه ، أن يكون ميتاً بالنسبة لهذه الأسرة ،
وآلا يظهر في حياتها مرة أخرى ، على الرغم من شفائه من رذيلة
الإدمان ، وعودته إلى الحياة الشريفة .. كان بمقدوره أن يتزوج
مرة ثانية ، وأن يكون له أبناء ولكنه قرر أن يدفع الثمن كاملاً ،
بالإضافة إلى أنه لم يحب طوال حياته ، ولم يكن قادراً على أن
يحب غير زوجته ، التي تحملت من أجله الكثير ..

ولكن ذات يوم ، شعر أن هذا أكثر من احتماله ، خاصة
وقد تقدّم به العمر ، وأحسّ بدنو أجله ، وبدا له أنه قد كفر
عن خطيئته في حق أسرته بما يكفي ، وأنه قد آن الأوان ليلتقى
بزوجته وأبنائه مرة أخرى ، بعد أن أضناه الفراق ، وبعد أن
عاش كل تلك السنوات الطوال محروماً من نعمة الأبوة ..

* * * * * ١١٥ * * * * *

لكن عندما عاد ، وجد أنه لا يستطيع أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء ، وأنه سيبقى حتى آخر يوم من عمره يدفع ثمن خطاياهم ، فالزوجة ماتت ناقمة عليه ، والابن تنكّر له ، وحكم عليه بأن يبقى ميتاً بالنسبة له ، وابنته التي لا تعرف بوجوده حتى الآن .. وكان عليه أن يتحمّل ذلك الوضع ، في مقابل أن يبقى على مقربة منهما ، فالابن لم يغفر له ذنبه ، وأفهمه أن الأوان قد فات بالنسبة له ، لكي يستعيد دور الأب ، وأن ظهوره في حياته وحياة الابنة مرة أخرى فيه ما يشينهما .. وهكذا كُتب على الأب مرة أخرى أن يجرب مرارة الحرمان ، ولكنه حرمان أشد قسوة ، فليس هناك أقسى من أن ترى أبناءك أمامك ، وأنت محروم منهم ... محروم من أن تسمع منهم كلمة بابا .. تلك الكلمة السحرية ، التي يتمنى كل أب أن يسمعها من أبنائه .. محروم من أن تضمهم إلى صدرك ، ومن أن تشعر بخنائهم وحبهم ، وتشاركهم سعادتهم وأحزانهم ، وأحدهم يعرفك وينكرك في قسوة والآخر يجهل أنك أبوه .

وعند هذه النقطة صمت (منصور) ..

وانتهى حديثه .

***** ١١٦ *****

١٠ — سر الرجل الغامض ..

صمت (منير) قليلاً ، وهو يطرق برأسه إلى الأرض ، ثم نظر إلى (منصور) قائلاً :

— قصة مؤثرة ، ولكنى لا أرى لها أية علاقة بي ، فأنا لن أنفصل عن زوجتي من أجل المخدرات ، كما أنتى لن أتخلّى عن رعاية أبنائى .

قال (منصور) برصانة .

لم تكن المخدرات هي السبب الحقيقي في ضياع شمل هذه الأسرة ، وفي انفصال الأب عنها ، ولكنها العزيمة .. الاستسلام للشعور بالعجز والشعور بالهوان .. هو أن الأب أمام زوجته وأبنائه .. وهوانه على نفسه ، وهذا هو نفس الشيء الذي يدفعك إلى التخلّى عن أسرتك الآن ..

— الإحساس بالنقص والهوان ، أمام سلطان شقيق زوجتك ، وتلك النظرة التي ينظران بها إليك ، على أنك رجل وصولى ، لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة ، دون الاعتماد على مساعدة ذلك الأخ ، ولم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه ، دون

***** ١١٧ *****

الارتكان إلى نفوذه وماله ، وبدلاً من أن تثبت لنفسك وللآخرين أنك تستطيع أن تحرز ما أحرزته من نجاح ، في مصنع (وجدى) ، وأن تحقق طموحك دون الاعتماد عليه ، أخذت الطريق السهل ، الذى اختاره ذلك الرجل ، الذى حدثك عنه .. قررت الهروب .. الهروب مع امرأة أخرى .. وإلى المجهول ، دون أن تواجه الأمر بشجاعة ، وتؤكد ذاتك بعزيمة الرجال وإصرارهم .

منير :

— وكيف يتأتى ذلك في تصورك ، وأنا أعيش تحت رعاية ونفوذ (وجدى) بل وأخته ؟

منصور :

— أن تضرب عرض الحائط بذلك النفوذ وتلك الرعاية ، دون أن تتخلى عن زوجتك وأبنائك .

لقد أعدت له مفاتيح السيارة ، التى أهداها إليك ، فلا تحاول أن تسردّها مرة أخرى إلا إذا كنت قادراً على سداد ثمنها ..

ويمكنك أيضاً أن تطلب منه التوقف عن دفع ذلك المبلغ ، الذى يدفعه لك فوق راتبك ، للإتفاق منه على أسرتك ، وأن

* * * * * ١١٨ * * * * *

تخبره بأنك قادر على تولى أمر عائلتك ، دون الحاجة إلى مساعدته ، ويمكنك أيضاً أن تطالب الجميع بالتعامل معك من خلال شخصك ، وعملك كرجل وكمهندس ناجح ، دون النظر إلى العلاقة التى تربطك بـ (وجدى) بك .

أما المنزل ، فهو من حق زوجتك ، بعد أن ورثته عن خالها ولا يقع في دائرة مساعدات أخيها ..

هناك أشياء كثيرة يمكنك أن تفعلها ، بشرط أن تكون قوياً ، وذا عزيمة ، وأن تكون لديك القدرة على الحياة بمستوى أقل مما اعتدته وبما يتفق مع كرامتك ، حتى تستطيع أن تصل إلى ما تصبو إليه بعرقك وكذك واجتهادك ، دون الحاجة إلى الاعتماد على زوج أختك في أى شيء ..

وقتها فقط يمكنك أن تنظر إلى عيونهم وأنت مرفوع الرأس ، دون إحساس بالنقص أو الضعف .

ووقتها فقط ستشعر باحترامهم ، واحترام الآخرين ، واحترامك لنفسك ، واحترام أبنائك لك ، وليس بالهرب والتخلي عن أسرتك .

وهز (منير) رأسه ، قائلاً وكأنه يرفض قبول هذا الاقتراح :

* * * * * ١١٩ * * * * *

— أنت لا تفهم شيئاً .. إننى أحب تلك المرأة ، التى
سأتزوجها .. لقد وعدتها ، ولم يعد هناك مجال للتراجع .
منصور :

— إنك لم تحبها كما تتصور ، بل وجدت فيها ما أحسست
أنك قد افتقدته فى زوجتك أخيراً .. احترامها واعتمادها عليك
كرجل .. هذه هى الحقيقة .. وصدقنى إن زوجتك تحبك أكثر
من أية امرأة أخرى فى العالم ، وليس هناك ما يمكن أن يعوضك
عنها بأى حال من الأحوال ، أما عن الوعود ، فليس هناك ما
هو أهم وأبقى من ذلك الوعد ، المفترض أنك التزمت به ،
يوم اقترنت بتلك السيدة ، التى أصبحت أم أبنائك ، بالحفاظ
عليها ورعاية أبنائك وأسرتك ، والإبقاء عليهم دائماً فى كنفك
وحمايتك .

قال (منير) بضيق :

— أعتقد أننى قد سمعت من المحاضرات والروايات ما يكفى
اليوم .

وقال (منصور) بهدوء :

— وأنا لم يعد لدى ما أقوله ، فالأمر أصبح متروكاً بعد الآن
لمشاعرك ، ومسئوليتك ، وضميرك .

* * * * * ١٢٠ * * * * *

وفتح الباب استعداداً للانصراف ، فاستوقفه (منير)
قائلاً :

— انتظر .

ثم تقدم نحوه ، قائلاً :

— هناك سؤال يحيرنى ، وأريد أن أعرف إجابته منك .
منصور :

— سل ما شئت .

قال (منير) ، وهو يضغط على كلماته :

— من أنت ؟

تهد (منصور) قائلاً :

— كما ترى .. رجل عجوز وحيد ، يعمل أجيراً لدى أخى
زوجتك .

منير :

— لا .. لا أقصد هذا .. تلك هى الصورة التى أراها
ويراها معى الآخرون .. إننى أقصد ما وراء هذه الصورة .
منصور :

— لا أعتقد أن ما وراء الصورة يمكن أن يفيدك بشيء ،
وداعاً يا بنى .

* * * * * ١٢١ * * * * *

وتركه وانصرف ، في حين وقف (منير) حائراً ، يفكر في أمر الرجل ، ثم لم يلبث أن ضرب بقبضته على المائدة في قوة ، قائلاً في حلق :

— لماذا ظهر ذلك الرجل في حياتي في ذلك الوقت ؟ .. وفي اللحظة التي حُسم فيها الأمر بالنسبة لي ؟

وسرعان ما أخذ يردد ، وكأنه يؤكد لنفسه ما يقوله :

— نعم .. لقد حُسم الأمر بالنسبة لي .. لا مجال للتراجع . وصمت قليلاً ، ثم قال في ضيق :

— ولكن قصته تلك ، وما خلفه وراءه من ذلك الإحساس المزعج بتأنيب الضمير .. ليتني ما سمحت له بذلك الحديث الطويل معي ، بل ليتني ما سمحت له بدخول المنزل منذ البداية .

كان (منصور) في طريقه إلى منزل ابنه ، عندما توقفت سيارة أجرة إلى جواره ، وسمع صوتاً يناديه قائلاً :

— عم (عبد التواب) .. انتظر .

والتفت (منصور) نحو مصدر الصوت ، ليرى (منير) ، وهو يهبط من سيارة الأجرة قادماً نحوه ، ووقف أمامه يحدده بنظرة فاحصة ، ثم قال :

*** ١٢٢ ***

— لقد عرفتك .. أنت صاحب القصة ، التي رويتها لي .. أليس كذلك ؟

ثم نظر في اتجاه الفيلا ، وعاد ينظر إليه ، قائلاً :

— و (وجدى) .. و (فاطمة) هما ابناك ، ف (وجدى) هو الابن ، الذى ينكرك ، ويحاول أن يخفى وجودك ، و (فاطمة) هى الابنة ، التى لا تعرف حتى هذه اللحظة أنك أبوها .

ومرت بينهما برهة من الصمت ، لم ينطق خلالها (منصور) بكلمة واحدة ، في حين ضرب (منير) يده على جبهته ، قائلاً :

— يا لى من غيبى .. كيف لم أستطع أن أتبين ذلك ؟ .. اهتمامك بـ (فاطمة) ، وتدخلك من أجلها ، وظهورك المفاجئ في (بورسعيد) ، وتلك القصة التى رويتها .

قال له (منصور) بثبات ، وفي عينيه نظرة محذرة :
— أنت الوحيد الذى يعرف ذلك الآن ، وسيبقى ما عرفته سراً بيننا .. عدنى بذلك .

منير :

— لماذا ؟ إن من حقلك أن تخرج من دائرة الظل ، التى

*** ١٢٣ ***

عشت فيها كل تلك السنين الطويلة ، من حَقك على ابنك أن يعترف بك ، بعد أن دفعت ثمن ما اقترفته ، ومن حق ابنتك أن تعرفك .

منصور :

— لم يعد لدى حقوق على أحد ، فقد تخلّيت عن حقوقى بنفسي ، منذ سنوات طوال .. تخلّيت عنها عندما اخترت أن أتخلّى عن واجباتى تجاه زوجتى وأبنائى .

منير :

— هراء .. كيف تأتى لذلك الرجل ، أن يجعلك تعمل حارساً فى منزله ، ليعاملك الجميع بهذه الصفة ، وهو يعلم أنك أبوه ؟

كيف سمح لنفسه أن يخفّيك عن ابنتك ، وهى التى طالما تساءلت عنك ، وكانت تردّد أنها لا تعلم ما إذا كنت حياً أم ميتاً ؟

منصور :

— أعتقد أنه قد تصرّف التصرّف الصحيح ، فماضى يمكن أن يلحق به ضرراً كبيراً ، أرجوك يا بنى ، عدلى ألا تبوح بهذا السر .

ابسم (منير) قائلاً :

* * * * * ١٢٤ * * * * *

— كيف أضيع منى فرصة كهذه ، للانتقام لنفسي ، وابتزاز (وجدى) بك ؟ منصور ؟

تبدّلت ملامح الأب ، وهو يقول :

— ماذا تقول ؟

منير :

— أأست رجلاً وصولياً وانتهازياً ؟ .. هل يوجد أفضل من

هذه الفرصة لانتهازها ، وابتزاز ثرى كبير مثل (وجدى) ؟

قال (منصور) بصرامة :

— لو فعلت ذلك فتأكد أننى سأقتلك .

منير :

— تقتلنى ؟ !

منصور :

— نعم ، فلم يعد لدى فى هذه الدنيا ما أخسره ، ولم يعد

لّى فى هذه الدنيا الآن ما يهمنى سوى ابنى .

وصمت برهة ثم قال :

— لكنى واثق أنك لن تفعل ذلك .

منير :

* * * * * ١٢٥ * * * * *

— نعم .. لن أفعل ذلك .. ليس من أجل تهديدك ، ولكن
لأثبت لك أنني لست بالرجل الوصولي ولا الانتهازي أبدا .
هز (منصور) رأسه مؤمنا ، وهو يقول :

— لقد كنت أعرف ذلك منذ الوهلة الأولى ، التي رأيتك
فيها ، فالسنون والتجارب علمتني كيف أحكم على الأشخاص
جيذا .

منير :

— لقد أردت اللحاق بك ، قبل أن تعود إلى القيلا ؛
لأخبرك بأنني قد عدلت عن القرار الذي اتخذته .. إنني قادم
معك ، وسأعود إلى منزلي مع (فاطمة) زوجتي .

ابتسم (منصور) قائلا :

— إنك لم تأخذ وقتا طويلا ، للتفكير في هذا .

منير :

— والفضل في هذا يرجع إليك يا عم (منصور) .. هل
تسمح لي بأن أناديك باسمك الحقيقي ؟

فتح (منصور) ذراعيه ، ليحتضن زوج ابنته ، قائلا في
امتنان :

— أشكرك يا بنني .. لقد أعدت لي ثقتي بقدرتي على عمل
شيء من أجل أبنائي .

* * * * * ١٢٦ * * * * *

قال له (منير) ، وهو يضمه إلى صدره :

— أنا الذي يتعين علي أن أشكرك يا عماء ، فقد أنرت
بصيرتي ، وجعلتني أعرف الطريق الصحيح ، الذي ينبغي علي
أن أسير فيه ، كما جعلتني أدرك كم أحب زوجتي وأبنائي ..
هيا .. هيا بنا .

وانطلقا معا .

* * *



* * * * * ١٢٧ * * * * *

١١ — وحن الرحيل ..

طرقت (فاطمة) الباب عدة طرقات ، قبل أن يسمح لها
أبوها بدخول غرفته ، ووجدته وقد انتهى من صلاته ، فاقتربت
منه ، قائلة بصوت يشف عن الحزن :

— سمعت أنك ستترك عملك هنا ، وتغادر (بورسعيد) .

أجابها (منصور) في هدوء :

— نعم .. سأرحل صباح الغد .

قالت فيما يشبه التوسل :

— ألا يمكنك أن تغير رأيك ، وتبقى ؟

هز رأسه ، قائلاً بنفس النبرة الهادئة :

— مع الأسف .. لا يمكننى ذلك ، وأنا فى طريقى إلى

مغادرة (مصر) بعد أيام قليلة ، والسفر إلى إحدى البلاد
العربية .

فاطمة :

— هل ستعمل هناك ؟

منصور :

— نعم .

فاطمة :

— ولكنك ... أعنى ... أنت ...

وأكمل (منصور) عبارتها المبتورة ، قائلاً :

— طاعن فى السن ، ولست فى عمر يسمح لى بالعمل فى

تلك البلاد .. لكن عملى هناك لن يكون مرهقاً ، ولن يزيد عن

العمل الذى مارسته هنا .. فقد سبق لى العمل فى تلك الدولة ،

ولى أصدقاء ومعارف هناك سرحبون لى .

فاطمة :

— هل يمكنك أن تترك لى عنوانك ، حتى أراسلك فى تلك

الدولة ، التى ستذهب إليها ؟

منصور :

— عندما يستقر لى المقام هناك سأرسل إليك عنوانى .

اقتربت (فاطمة) من أبيها ، لتحنى فجأة على يده

وتقبلها ، فسحب يده سريعاً ، وهو ينظر إليها بدهشة ، قائلاً :

— (فاطمة) هانم .. ماذا تفعلين ؟

وانحدرت عبرة من عينيها ، وهى تقول :

— مهما حاولت أن أقول ، فلا أعرف كيف أوفيك قدرك

من الشكر ، على مساعدتك لى فى محتى ، ومساهمتك فى لم
شمل أسرتنا مرة أخرى .. لقد قدمت لى صنيعة لن أنساه .
قال (منصور) متأثراً :

— إننى لم أفعل شيئاً ، ولم يكن يمكننى أن أفعل شيئاً ، لولا
حبك لزوجك ، وحب زوجك لك ولأولاده .. إن ما بينكما
قوى ، ويجب أن يبقى قوياً ومتماسكاً حتى لا تعصف به
الأمواء ..

حافظى على زوجك .. اجعليه يشعر باحترامك وتقديرك
دائماً ، يبقى ملكاً لك .. وإياك أن تبخسه قدره ، أو تحاولى
الإقلال من رجولته وكرامته ، وإلا خسرتَه إلى الأبد .. هذه
هى النصيحة الوحيدة ، التى أستطيع أن أقدمها لك قبل
رحيلى .

فاطمة :

— هل يمكننى أن أطلب منك صنيعة أخرى ، من أجلى ؟

منصور :

— أنا تحت أمرك يا (فاطمة) هانم .

فاطمة :

— أرجوك .. توقف عن مناداتى بكلمة هانم هذه .. قل

لى يا بنيتى ..

* * * * *

قال ، وقد ازداد تأثراً :

— كما تريد يا بنيتى .

فاطمة :

— يا لها من كلمة حُرمت منها طويلاً ، وعلى الرغم من أننى
سمعتها من عدة أشخاص ، إلا منك فأشعر أنها تبدو مختلفة منك
أنت بالذات .

وحاول (منصور) أن يختصر الموقف ، قائلاً :

— ما هى الخدمة التى تريدونها منى ؟

نظرت إليه متوسلة ، وهى تقول :

— أن تبقى ولا تغادر (بورسعيد) .. أرجوك .

قال لها (منصور) : وهو يحاول مقاومة مشاعره :

— لا أستطيع يا بنيتى .. لا أستطيع .. صدقيني .

فاطمة :

— ولا حتى من أجل خاطرى .

منصور :

— لو كان الأمر بيدى ما فارقتكم لحظة واحدة ، فأنا أشعر

أننى مشدود إلى هذا المكان .. لقد تعلق بـ (وجدى) ،

وبالأولاد .. ولكن لا بد أن أسافر .

* * * * *

قالت (فاطمة) :

— كم سأفتقدك ، وكم سأفتقد حنانك الأبوى ، الذى
حرمت منه طويلاً .

وحول وجهه عنها ؛ ليخفى عينيه المغرورقتين بالدموع ،
قائلاً :

— أنا أيضاً سأفتقدك كثيراً .

وفى أثناء ذلك دلف (وجدى) من الباب المفتوح ، إلى
داخل الغرفة ، ويبدو أنه فوجئ بوجود أخته ، حيث نظر إليها
بدهشة ، قائلاً :

— (فاطمة) .. هل أنت هنا ؟

قالت وهى تمسح تلك العبرة ، التى انحدرت على وجنتها :

— جئت لأودع عم (عبد التواب) قبل رحيله .

غادرت الغرفة حزينة ، فى حين اقترب (وجدى) من
أبيه ، وعلى وجهه علامات التردد ، ومالبت أن قال ، بعد برهة
من الصمت :

— هل أنت مصر على الرحيل ؟

قال (منصور) وهو يتظاهر بترتيب أمتعته :

— نعم .

وجدى :

— لماذا ؟ أعنى ما الذى جعلك تفكر فى مغادرتنا هكذا
فجأة ، ودون سابق إنذار ؟

أجابه (منصور) بهدوء :

— أليس هذا ما كنت تتمناه ؟

وجدى :

— نعم .. ولكنتى ظننت أن الأمر سيستغرق وقتاً أطول
من ذلك .

إنك لم تبق معنا سوى شهر واحد .

منصور :

— أعتقد أنه يكفى .. واطمئن لن أسبب لك إزعاجاً بعد
اليوم ، فكما ظهرت سأختفى ، ولن ترائى بعد ذلك .. يمكنك
أن تمارس حياتك فى اطمئنان وهدوء ، وكأنك لم ترنى أبداً .
قاوم (وجدى) إحساسه المبهم بالذنب ، وهو يزداد
اقترباً من أبيه ، قائلاً :

— هل أنت مسافر ، إلى إحدى الدول العربية حقاً ؟

منصور :

— نعم .

وجدى :

— وما هذه الدولة ؟

منصور :

— (السعودية) .. لقد سافرت إليها من قبل .. سأقضى بضعة أيام بـ (القاهرة) أولاً ، ثم أسافر :

وجدى :

— حسناً .. متى يحين موعد سفرك ، حتى أحضر لنقلك

إلى المطار بسيارتى ؟

ابتسم (منصور) فى مرارة ، قائلاً :

— هل أنت حريص على راحتى حقاً ، أم تريد أن تطمئن إلى مغادرتى البلاد ؟ .. قلت لك اطمئن ، سواء كنت فى (القاهرة) أو فى أية دولة أخرى فى العالم ، تأكد سأختفى من حياتك إلى الأبد .

قال (وجدى) ، وعلى وجهه ملامح الصدق :

— إننى لا أقصد ذلك .. يمكنك أن تبقى إذا أردت ،

وكيفما شئت فأنا لم أعد أشعر بانزعاج لوجودك .

تأمل (منصور) وجه ابنه ملياً ، ثم قال بعد برهة من

الصمت :

— هل تريد منى أن أبقى حقاً ؟

قال (وجدى) ، محاولاً التظاهر باللامبالاة :

— إذا أردت .

تحول (منصور) عنه ، ليعود إلى ترتيب أمتعته ، وهو يقول :

— أشكرك على كل حال .

دنا (وجدى) من أبيه ، قائلاً ، وقد تحولت اللامبالاة فى صوته إلى اهتمام حقيقى :

— إذا قلت لك : إننى أريد منك أن تبقى ؟

استدار (منصور) ليواجه ابنه ، وهو يقبض على كتفيه بيديه ، قائلاً :

— حقاً يا (وجدى) .. هل تريد منى أن أبقى معك حقاً ؟

وقف (وجدى) واجماً ، لا يدرى ماذا يقول .. لقد أحس بتيار عاطفى يسرى فى نفسه تجاه أبيه ، ولكن شيئاً ما كان يجعله يصر على مقاومة هذا التيار ..

لقد خشى أن يعود فيعلن رغبته الحقيقية فى بقاء أبيه ، فيظهر فى صوته .. ما ينبئ عن تلك العاطفة الحقيقية ، ويعلن عن انهزام كراهيته لذلك الأب ، الذى حرمه منحنائه ورعايته وأبوته سنوات طوالاً ..

ظل (وجدى) واجمًا ، لا ينطق بكلمة ، حتى تحررت
أكتافه من يدي أبيه ، الذى تقلصت ملامحه فجأة ، فأسرع
بالجلوس على أحد المقاعد ، وسأله (وجدى) فى قلق :
— ماذا بك ؟

تحامل الأب على نفسه ، لكى يخفى تلك التقلصات ، التى
بدت على وجهه قائلاً :

— لا .. لا شيء مجرد صداع بسيط .

وجدى :

— هل أحضر لك أى مسكن ؟

منصور :

— لا داعى لذلك ، فأنا معتاد هذا الصداع ، الذى يذهب

ويجىء .

وجدى :

— لقد نسيت أن أشكرك ، على ما فعلته من أجل

(فاطمة) .

منصور :

— هل نسيت أننى أبوها ؟ الأب لا يتلقى شكرًا على

مساعدته لابنته .

* * * * * ١٣٦ * * * * *

وأمسك برسغه ، وهو جالس فوق مقعده ، قائلاً :
— أريد منك أن تعتنى بـ (فاطمة) وترعاها جيدًا فى
عيانى ، فلن أستطيع مساعدتها مرة أخرى فى المستقبل ..
إنك شقيقها الوحيد ، وليس لها أحد سواك .. أريد منك
أن تقوم بمسئوليتك تجاهها . ليس كشقيق فقط ، ولكن كأب
أيضاً ، وليس بدافع حبك لذاتك وأنانيتك ، التى كشفتها
فيك ، ولكن بدافع حبك لها ، وحرصك عليها ..
هذا هو مطلبى الوحيد منك .. أن تكون الأخ والأب فى
أن واحد ،

وهز (وجدى) رأسه مؤتمناً على كلام أبيه ثم قال :

— إذن فأنت مصمم على الرحيل .

منصور :

— نعم .. سيكون ابتعادى فى صالحك وصالح أختك ، إذ

إن ماضى لا يشرف أحداً منكما .. لقد أدركت أنك كنت محقاً

فيما قلته لى فى البداية .

أخرج (وجدى) من جيبه رزمة من النقود ، ليقدّمها إلى

أبيه ، قائلاً :

— أعتقد أنك ستحتاج إلى بعض النقود معك ، حتى تنهى

من ترتيبات سفرك .

* * * * * ١٣٧ * * * * *

لكن (منصور) أزاح يد ابنه ، الممتدة بالنقود ، قائلاً :

— احتفظ بنقودك ، فلست بحاجة إليها .

حاول (وجدى) الاعتراض ، قائلاً :

— ولكن ...

لكن أباه قاطعه ، قائلاً :

— قلت لك : لست بحاجة إلى نقود ، فيمكننى تدبير أمرى

بنفسى .

وجدى :

— كيف ؟.. إننى كما أرى ...

ونفض (منصور) ليقوده إلى الباب ، قائلاً وهو ينهى

الحديث :

— من الأفضل أن تعود الآن لزوجتك ، قبل أن تقلق

عليك ، وتتساءل عن سر وجودك هنا .

توقف (وجدى) عند الباب ، قائلاً :

— متى ستغادر المنزل ؟

منصور :

— فى الصباح .. ولا أريد وداعاً ، فسوف أرحل وأنت

نائم ، حتى لا أسبب إزعاجاً لأحد .

* * * * * ١٣٨ * * * * *

وجدى :

— هل أنت واثق أنك لست بحاجة إلى نقود ؟.. إننى

مستعد أن أعطيك أى مبلغ تطلبه .

منصور :

— أشكرك .. لكن صدقنى ، لست بحاجة إلى أى مبلغ من

المال .. هيا هيا .. انصرف .

وخطا (وجدى) خارج الباب ، لكن (منصور) جذبه

من ذراعه قائلاً :

— انتظر .

ووقف يتأمله قليلاً ، وكأنه يريد أن يملأ عينيه منه قبل أن

يفارقه ، ثم أحاط عنقه بيده ، وهو يضمه إليه ، وقد احتقت

عيناه بالدموع ، قائلاً :

— سامحنى يا بنى ، فقد أخطأت فى حقك كثيراً .

تراجع (وجدى) برأسه إلى الوراء ، وقد هزته عاطفة

أبيه .. أراد أن يقول شيئاً ، ولكن لسانه لم يساعده ، دفعه أبوه

بعيداً عنه ، وهو يقول ، محاولاً التخلص من ذلك الموقف

العاطفى :

— هيا .. هيا عد لبيتك وزوجتك .

ومن عينيه انحدرت قطرة دمع ..

قطرة كبيرة .

* * * * * ١٣٩ * * * * *

١٢ — عذاب الضمير ..

نظر (منصور) إلى ساعته ، وكانت قد تجاوزت الخامسة صباحًا بعدة دقائق ، وعادت عضلات وجهه تتقلص ، وقد أحسَ بذلك الألم الشديد يهاجم أحشاءه ، ولكنه حمل حقيقته ، وتحامل على نفسه ليتسلل إلى داخل القिला ، حيث صعد إلى الدور العلوي ، وفتح باب غرفة نوم حفيده ..

كان (وائل) مستغرقًا في النوم ، وقد بدا في نومه كالملاك الحالم ، عندما اقترب جده من فراشه ، وجثا على ركبتيه إلى جواره ؛ ليقبل جبهته هامسًا :

— كم سأفتقدك أيها الملاك الصغير .. ليتك تعرف أنني أحبك كثيرًا .

وأخذ يمسح بيديه على شعره ، وهو يتأمل به نظرة حنون ، ثم نهض واقفاً وهو يستعد لمغادرة الحجرة ، لكنه فوجئ بزوجة ابنه واقفة لدى الباب ، فهمس لها قائلاً :

— آسف يا (نجلاء) هانم .. يبدو أنني قد أفلقتك .. ولكنني أردت أن أرى (وائل) قبل رحيلي .

***** ١٤٠ *****

قالت له وهي تصحبه خارج الغرفة :

— وهل كنت تريد أن ترحل ، دون أن تودّعنا ؟

منصور :

— هذا أفضل .. لقد تعلّقت بكم كثيرًا ، وعندما يحب شخص آخر ، يفضل أن يرحل دون وداعه ؛ لأن لحظات الوداع غالبًا ما تكون مؤثرة ومرهقة للعواطف ، ومع ذلك ومادمت قد التقيت بك قبل رحيلي ، فلا مناص من أن أودّعك ، شاكرًا لك حسن معاملتي ، طوال الفترة التي قضيتها هنا .

نجلاء :

— أئن تخبرني عن سبب رحيلك المفاجئ هذا ؟

منصور :

— لقد قلت لك من قبل يا هانم .. إنني مضطر للسفر .

(نجلاء) :

— لا أعرف لماذا لا يبدو لي هذا السبب مقنعًا ؟ وعلى أية

حال إذا كان الأمر متعلقًا بالمال ، فيمكنني أن ..

لكنه قاطعها قائلاً :

— ليس للأمر أية علاقة بالمال .. إنه ارتباط لا بد منه .

***** ١٤١ *****

وهم بهبوط درجات السلم ، عندما أمسكت ساعده ،
قائلة :

— عم (عبده) .

وصمتت قليلاً قبل أن تستطرد :

— أريد منك أن تعرف قبل رحيلك أنا أيضاً أحييناك ،
وتعلقنا بك ، وكنا نتمنى ألا تتركنا وترحل .

نظر إليها ملياً ، ثم قال :

— بارك الله فيك يا بنتي .

ثم أسرع بهبوط درجات السلم ، ووقفت (نجلاء) تراقب
رحيله من نافذة غرفة نومها ، إلى أن غاب عن عينيها ، ثم عادت
إلى الفراش ، حيث كان زوجها راقداً وقد استلقى على أحد
جنبه ، وهو ينظر إلى الجهة المقابلة للنافذة ، وسألها في صوت
خافت قائلاً :

— هل رحل ؟

سأله باستغراب :

— هل أنت مستيقظ ؟

وجدى :

— نعم .

* * * * * ١٤٢ * * * * *

قالت معاتبة :

— ولم تحاول أن تنهض لتوديعه ؟

قال ، وقد ازداد صوته خفوئاً :

— لا أعتقد أنه كان سيرحب بذلك .

نجلاء :

— هذا ما قاله ... ولكن كان يمكنك على الأقل أن تعرض

عليه توصيله إلى موقف السيارات .

وجدى :

— وهذا أيضاً رفضه .

التفتت إليه قائلة :

— لا أعرف لماذا يسيطر على ذلك الشعور بأن هذا الرجل

يبت لك بصلة ما ؟ ..

تصرفاته وأفعاله ..

وصمتت ، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الحيرة ، ثم

قالت :

— لقد كان ينظر إلى (وائل) بحنان بالغ ، حتى أنني

خشيت أن يختطفه ، ويأخذه معه قبل أن يرحل .

وموضوع (فاطمة) .. لقد سمح لنفسه بالتدخل في الأمر ،

* * * * * ١٤٣ * * * * *

وإصلاح العلاقة بينها وبين زوجها ، كما لو كان فردًا في العائلة :
وأنت .. لقد رأيتك متأثرًا هذا المساء لرحيله ، بالرغم من
أنك نادرًا ما تتأثر لفراق أحد ، ولا تتميز بذلك الحس
العاطفي ، وهذا شيء غريب بالنسبة لأجير عندك ، بالرغم من
أننى لا أنكر أننى أيضًا تأثرت لقراره بالرحيل عنا ، فقد
أحسست أن وجوده في منزلنا يضيفى عليه لمسة ما .. لمسة غريبة
لم نعهد لها في أحد ممن يعملون لدينا ، أو ممن نعرفهم .
وازدادت اقترابًا منه ، وأمسكت ساعده قائلة :

— (وجدى) .. أما زلت مستيقظًا ؟

لكنها لم تتلق جوابًا منه ، وإن أحست بجسده يرتعد ، فقربت
وجهها من وجهه ، ورأت عينيه محقتين بالدموع ، فهتفت غير
مصدقة :

— (وجدى)؟! .. هل تبكى ؟

نهض من فوق الفراش ، ليجلس على حافته ، وهو يدير لها
ظهره ، قائلاً بعد أن أطلق زفرة قصيرة :

— (نجلاء) .. ألا تكفين عن ذلك الفضول ؟

ولكنها قفزت من الفراش ؛ لتواجهه قائلة :

— هل تعرف أن هذه هي المرة الأولى ، التى أرى فيها
الدموع فى عينيك ؟

* * * * * ١٤٤ * * * * *

مديده ليزيل أثر الدموع من عينيه ، قائلاً وهو يشيح بوجهه
إلى الجهة الأخرى :

— إن عيني متعبتان قليلاً .. ربما بسبب الإجهاد وقلة
النوم .

ولكن (نجلاء) ألحت عليه :

— لا أعتقد أن للإجهاد وقلة النوم علاقة بتلك الحالة ، التى
تبدو عليها .

نهض من فراشه دون أن يردّ عليها ، ليجلس فوق أحد
المقاعد ، وهو يشعل لنفسه سيجارة ، فى حين ظلت (نجلاء)
جالسة فوق حافة الفراش ، وهى تقول :

— هل تعرف السبب الحقيقى فى تلك الأزمة ، التى كادت
تودى بزواج أختك ؟ ..

إنها لم تصدق أن زوجها يحبها حبًا حقيقياً ، ولم تكن تثق به
وبنواياه تجاهها .. بل كانت موقنة أنه لولاك ، ولولا
مساعداك له ، ما استمر هذا الزواج ، وذلك هو الخطأ
الفادح ، الذى كاد يعصف بزواجهما ؛ لأن (منير) كان يحبها
حقيقة ، ويتألم لأنها لا تثق بذلك ، وأنت ترتكب نفس الخطأ ،
فأنت لا تثق بحبى لك ، وفى تمسكى بك ، بالرغم

* * * * * ١٤٥ * * * * *

من كل شيء ، ومن أى شيء ، وتنسى أننى أحبيتك
وتزوجتك ، بالرغم من كل عيوبك ، التى غفرتها لك ،
وعملت على إصلاحها ، لكننى لم أفكر للحظة واحدة أن
أتركك بسببها .. إنك تنظر لى دائما على أننى أنتمى إلى أسرة
ثرية ، ومن أصل عريق ، وأنتك يجب أن تبدو أمامى دائما فى
الصورة المثلى ، وفى المستوى اللائق ، حتى لا يؤثر ذلك على
ارتباطنا .. وأنه يتعين عليك ، من أجل ذلك ، أن تخفى عنى
الكثير من أسرار حياتك ، وبعضا من تلك الهموم ، التى تصل
بك إلى حد البكاء ، كما رأيت هذه الليلة فى عينيك ، ونسيت
أننى امرأتك وزوجتك ، وحييتك قبل أى شيء آخر ، وأننى
أتألم ؛ لأنك لا تثق لى ، وبجبى لك ، بالقدر الذى أستحقه ،
وتعمل على إبعادى عن مشاركتك ما يتعين على أن أشاركك
فيها ، كزوجة أحبتك ، ورضيت أن تشاركك حياتك بكل ما
فيها ، وبكل ما تحتويه من أسرار ، تحرص على إخفائها عن
الآخرين ، يوم أن وافقت على الاقتران بك .

سألها بصوت واهن :

— ماذا تريد منى أن أقوله ؟

اقتربت من المقعد الجالس عليه ، لتجثو أمامه ، وهى تضع

يديها على ركبتيه ، قائلة :

* * * * * ١٤٦ * * * * *

— الحقيقة .

سألها ، وقد عادت عيناه تحتقان بالدموع :

— أية حقيقة ؟

نجلاء :

— من هو هذا الرجل ، الذى جئت به إلى منزلنا فجأة ،

ورحل عنا فجأة ؟

لاذ (وجدى) بالصمت ، دون أن يعطى جوابا ، وظلت

(نجلاء) تحديق فيه برهة ، وهى تنتظر منه أن يقول أى شيء

بلا جدوى ، ثم ما لبثت أن نهضت ، وهى تستعد لمغادرة

الغرفة ، قائلة :

— مع الأسف .. كنت أظنك تثق لى أكثر من ذلك :

ولكنه أمسك برسغها ، قائلاً وقد سالت العبرات على

وجنتيه :

— إنه .. أبى .

ظلت (نجلاء) صامئة لحظات ، وهى تحاول استيعاب ما

قاله ، ثم ما لبثت أن عادت تجثو أمامه ، قائلة :

— كنت أعرف وأشعر بأن هناك صلة ما .. صلة قوية

تربطك بهذا الرجل ، ولكننى لم أكن أتصور ...

* * * * * ١٤٧ * * * * *

وبد تفكيرها مشوشاً ، وهي تردّد قائلة :

— والدك؟ .. غير معقول !

ثم نظرت إليه قائلة :

— ولكن كلنا نعلم أن والدك قد مات .. لقد أخبرتنا

بذلك .

قال (وجدى) بصوت مرتعش :

— لم تكن هذه هي الحقيقة .

نجلاء :

— ولكن .. لماذا ؟ لماذا أخفيت عنا هذه الحقيقة ، ولماذا

تركته يعمل لدينا حارساً ، وأنت تعلم أنه أبوك ؟

وجدى :

— كانت لدى أسبابي .

بدت (نجلاء) وقد تخلّصت من صدمة المفاجأة ، وهي

تقول بصوت غاضب .

— لا أعتقد أنه هناك أى سبب فى الدنيا ، يجعلك تنكر

وجود أبوك ، وترضى له هذا الوضع المهين .

وجدى .

* * * * * ١٤٨ * * * * *

— سأروى لك القصة من البداية ، ولكنى أوافقك على

أنه مهما كانت الأسباب ، فقد كنت ندلاً للغاية فى تصرّفى هذا

وأخذ يروى لها القصة ..

كلها ..

* * *

بعد أن انتهى من رواية قصته ، صمتت (نجلاء) قليلاً ،

ثم قالت :

— إننى لن أتجادل معك فى كل ما حدث فى الماضى .. بل

لن أناقشك فى تصرفاتك مع أبيك بالرغم من أننى أعترف بأنها

قد صدمتنى ، فلم أكن أظن أنك بكل هذه القسوة ، بالرغم

من كل المبررات التى سقتها ، ولكن سأسألك سؤالاً واحداً :

ماذا ستفعل الآن ؟

نظر إليها (وجدى) ، وكأنه يتطلّع إلى الإجابة فى عينيها ،

وقال :

— وماذا تنتظرين منى أن أفعل ؟

قالت بدهشة :

— لا أعتقد أنك ستستمر فى ارتكاب هذا الخطأ الفادح ..

يجب عليك الآن أن تصحح كل الأخطاء التى ارتكبتها .. لا بد

* * * * * ١٤٩ * * * * *

أب تعرف (فاطمة) بوجود أبيها ، ويجب أن تكشف لها عن شخصيته ، فهذا حقها ..

ثم يتعين عليك بعد ذلك أن تعثر على أبيك ، وأن تعيده إلى هنا ؛ ليأخذ مكانه الصحيح ، ويستعيد ما فقدته منك ومن أختك من حب واحترام .. لا بد أن تعيد إليه أبوته المفقودة ، وبنوتك التي حُرِمَ منها طويلاً .. يجب أن يأخذ كل شيء مساره الصحيح ، منذ هذه اللحظة .

قال ، وقد ارتسم الخوف في عينيه :

— ولكن وضعي ومكانتي في المدينة ، والانتخابات التي أسعى لخوضها .. إن أبي له سابقة إجرامية .. ثم ماذا سيقول الناس عني .. بل ماذا ستقول (فاطمة) ، عندما تعلم أنني أخفيت عنها وعنهم الحقيقة ، وأظهرت أبي بمظهر الأجير ، الذي يعمل لدى ؟ .. هناك أشياء كثيرة متشابكة ومعقدة .. إنني سأفقد احترام الناس وتقديرهم لي ، إن لم يكن بسبب ماضى أبي ، فسيكون بسبب فعلتي معه .. يجب أن أضع كل هذا في حساباتي .

وانفعلت (نجلاء) ، قائلة في غضب :

فلتذهب حساباتك وكل تلك الأشياء إلى الجحيم .. المهم

***** ١٥٠ *****

الآن هو والدك .. الرجل طاعن في السن ، ولا بد أنه رحل عن هنا ، وهو حزين منكسر القلب لجفائك معه ، وحرمانه من استعادة حبك وحب ابنته ، الذي حرم منه طويلاً .. ألم تفكر لحظة واحدة في هذا ؟ ألم يحرك فيك شيئاً ؟ ..

ما الذي ستجنيه من احترام الناس لك ، إذا ما فقدت احترامك لنفسك ؟ .. وبأي ضمير ستواجه نفسك بعد الآن ؟ .. بل كيف سيمكنك أن تنظر إلى نفسك في المرأة ، بعد هذا الجرم الفظيع ، الذي ارتكبته في حق أبيك ، الذي قد يموت بعيداً عنك دون أن تراه أو تدرك موته ، وفي قلبه غصة منك ومن جحودك ؟ هل ستكتفي وقتها ببعض العبرات ، التي تتساقط فوق وجنتيك ، كما تفعل الآن ؟

وهب (وجدى) من مقعده ، وهو يقول في انفعال :

— كفى يا (نجلاء) .. كفى .. إنك تعذبتني بهذه الكلمات .

وقفت (نجلاء) إلى جواره ، وأحاطت ذراعه بيديها ، وهي تقول :

— سيكون العذاب أضعافاً مضاعفة ، إذا لم تسع إلى إيقاظ ضميرك ، وإصلاح الأمر مع أبيك ، ورَدَّ اعتباره إليه ..

***** ١٥١ *****

صدقنى إننى أقول لك ذلك ؛ لأننى أحبك ، وأخشى
عليك من عذاب قاس لا يرحم .. عذاب الضمير ؛ ذلك لأننى
أعرف أنه بالرغم من كل شيء ، فأنت لست بهذه القسوة
والعقوق والأنانية ، التى تحاول أن تبدو عليها .. هيا ..
أسرع .. أسرع قبل فوات الأوان .



١٣ — اللقاء القصير ..

بذل (وجدى) جهدًا كبيرًا ، حتى توصل إلى عنوان
أبيه ..

كان المنزل قديمًا متواضعًا ، ووقف (وجدى) أمام
الشقة ، التى يقطنها أبوه ، واضعًا سبَّابته على الجرس ، دون أن
يحبيه أحد ، حتى فُتح باب الشقة المجاورة ، ليخرج منها أحد
الأشخاص متسائلًا :

— هل تبحث عن أحد ؟

قال (وجدى) :

— أليست هذه هى شقة (منصور الدهشورى) ؟

أجابه الجار :

— نعم .. ولكنه ليس هنا الآن .. من أنت ؟

وجدى .

— إننى ابنه .

نظر إليه الجار بدهشة ، قائلاً :

— ابنه ؟ ولكنه لم يخبرنا بأن لديه أبنًا .

وجدى :

— لقد حالت الظروف دون حضورى ، فأنا أقيم فى

(بورسعيد) .

قال الرجل :

— على كل حال مفتاح الشقة معى ، فلقد اعتاد أن يترك معى مفتاحا آخر للشقة ، فى الأيام الأخيرة ، لأقضى له بعض الطلبات ، ومعاودته إذا ألم به مرض حال دون خروجه .

وجدى :

— هل هو مريض ؟

أجابه الرجل قائلا :

— لقد بدأ يتردد على الطبيب كثيرا فى الأيام الأخيرة .. سأحضر لك المفتاح لنتظر عودته .

ولكنه ما لبث أن توقف ، وفى عينيه نظرة متشككة ..
قائلا :

— هل تسمح لى بأن أرى بطاقتك أولا ؟

قدم له (وجدى) البطاقة ، ووقف الرجل يقرأ بياناتها بدقة ثم ردها إليه . وقد علت وجهه ابتسامة حرج ، قائلا :

— لا تؤاخذنى يا بنى .. ولكنها أمانة ، ويتعين على المرء منا أن يكون حذرا فى مثل هذه الظروف .. سأحضر لك المفتاح

غاب الرجل لحظة بالداخل ، ثم عاد يقدم له مفتاح الشقة .

قائلا :

— تفضل .. أعتقد أن والدك لن يتأخر كثيرا ، فهو لا

يغيب فى الخارج غالبا ، ولا يخرج إلا إذا اضطرته الضرورة .. هل يمكننى تقديم أية خدمة لك ؟

وجدى :

— أشكرك .

وفتح باب الشقة ، وأغلقه خلفه وهو يتأمل حجرات الشقة وأثاثها المتواضع ، حتى استقرت عيناه على مكتب صغير ، تناثرت فوقه مجموعة من الصور والأوراق والخطابات ، وقف يتفحصها وقد ارتدت به الذاكرة إلى الوراء ..

كانت صورة لوالدته ، وهى فى عنفوان شبابها ، وصورها لها مع أبيه بعد الزواج ، كما كانت تضم صورة له ولأخته وهم بعد أطفال صغار ، وبعضها كانت تضمه مع أبيه ، كما عثر بينها على صورة حديثة له ، أخذها أبوه من منزله قبل رحيله ..

وبدافع من الفضول ، أخذ (وجدى) يقلب الأوراق والخطابات المفتوحة ، التى وجدها على المكتب ، إلى جوار الصور ، بعد أن جلس على المقعد الذى يواجهه .

وانهمك ..
انهمك تمامًا ..

في أثناء ذلك كان (منصور) قد انتهى من الفحص الطبي ،
الذى أجراه لدى الطبيب ، حيث نهض من فوق مائدة الفحص
ليرتدى ثيابه ويقترب من الطبيب ، وهو يقول :
— قل لي الحقيقة يا دكتور .. لم يعد هناك جدوى .. أليس
كذلك ؟

نظر إليه الطبيب حائرًا ، لكنه لم يلبث أن أطرق برأسه ،
قائلًا :

— نعم .. لقد تمكن المرض الخبيث من أحشائك .
استقبل (منصور) الخبر بصمت مهيب ، استمر لحظات ،
ثم قال :

— كنت أعرف ذلك وأحسّه ، فقد كانت آلامى في الفترة
الأخيرة غير محتملة .

قال له الطبيب بصوت حزين :

— لقد بذلنا كل ما بوسعنا ، لكن المرض استفحل ، والأمر
متروك الآن بين يدي الخالق (سبحانه وتعالى) .

***** ١٥٦ *****

سأله (منصور) :

— كم تبقى لى ؟

أجابه الطبيب :

— هذا في علم الله ، ولكن بحساباتنا الطبية أمامك بضعة
أيام قليلة .

منصور :

— كل ما أطلبه منك الآن هو بعض المسكنات ، لكى توقف
ذلك الألم الرهيب ، الذى يهاجمنى من آن لآخر ، فقد أصبح
الألم فوق احتمالى إلى أن تنفذ مشيئة الله .
الطبيب :

— مع الأسف .. حتى المسكنات لن تخلصك من آلامك
تمامًا ، ولكن ربما استطاعت التخفيف بعض الشيء .. سأكتب
لك بعضها ثم دم له الطبيب التذكرة الطبية ، قائلًا فى أسى :

— هل ترغب فى أن أبلغ أحدا من أقاربك بالأمر ؟

صمت (منصور) قليلًا ، ثم نهض واقفًا وهو يقول :

— أشكرك .. ولكن ليس لى أحد يمكنك إبلاغه .

ثم اغتصب ابتسامة مريرة على وجهه ، قائلًا :

— أعتقد أن هذا أفضل ، حتى أرحل عن هذه الدنيا بهدوء
دون أن أسبب الحزن لأحد .

***** ١٥٧ *****

كان (وجدى) فى أثناء ذلك مستغرقاً فى قراءة أوراق
وخطابات أبيه بدموع حارة ، فقد كشفت له تلك الأوراق
والخطابات عن مفاجأة غير متوقعة ، مفاجأة زلزلت كيانه ،
وهزت ضميره .. لقد عرف من هذه الأوراق ، والخطابات
المتبادلة بين أبيه وخاله ، حقيقة الدور الخفى ، الذى قام به أبوه
لمساعدته دون أن يدري ، فقد أمد أبوه خاله بالمال اللازم ،
لإنقاذ مصنع الزجاج من الإفلاس والبيع ، بعد أن تراكمت
عليه الديون والأعباء ، وهو الذى أسهم فى تطوير وتنمية ذلك
المصنع ؛ ليتحول إلى مؤسسة كبيرة ، عن طريق المساعدات
الخفية ، التى كان يقدمها إلى خاله لإضافتها إلى حسابات
الشركة ، وذلك لعلمه أن (وجدى) يعمل بها ، وأن المؤسسة
ستعود إليه بعد أن اشتراها سراً من خاله ، وإن أبقى عليه ظاهراً
مالكاً لها ، كما أنه هو الذى أضاف بعض الأرصدة المالية لحساب
خاله قبل أن يموت ، لعلمه بأن ذلك المال سيتول إليه ، وإلى
أخته بعد وفاته ، وكل تلك الأوراق والخطابات تكشف عن
ذلك ، كما كشف عن مبلغ السبعين ألف جنيه ، التى تبقت
معه ، والتى أودعها البنك باسم ابنه وأبناء (فاطمة)
بالتساوى ، بعد أن حرر الشيكات وكتب خطاباً قصيراً لجاره .

كان يهتم بتسليمه له لتقديمه إليه ، وإلى أخته بعد موته .. لقد
فعل أبوه كل ذلك من أجله ، ومن أجل أخته .. كان يرعاهم
دائماً بصورة مستترة ومن بعيد ، وهو الذى تصوّره أناثياً ..
قاسياً .. جاء يبحث عنه طمعا فى ماله ..
لقد قابل كل ذلك ببحود بالغ ، ونعته بأحط الصفات دون
أن يحاول الأب أن يدافع عن نفسه مرة واحدة ، أو يكشف
عن الحقيقة ..

ولكن لماذا ؟ لماذا فعل ذلك ؟

وفى تلك اللحظة فُتح باب المنزل ، حيث فوجئ (منصور)
بوجود ابنه ، فهتف قائلاً :

— (وجدى) .. ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ وكيف عثرت
على مكانى ؟

اقترب منه (وجدى) حاملاً فى يده الأوراق والخطابات ،
وهو يقول :

— ليس هذا هو المهم .. المهم أن تقول لى أولاً .. لماذا
أخفيت عني الحقيقة ؟

وضع (منصور) الأدوية التى يحملها معه فوق المكتب ،
قائلاً بغضب :

— كيف سمحت لنفسك أن تقلب في أوراقى ؟
رد عليه (وجدى) :

— لقد عثرت عليها مصادفة ، وأنا أقلب الصور .
أحسن (منصور) بالآلام تعاوده في أمعائه ، فجلس على
المقعد القريب ، وهو يحاول أن يخفى تلك التقلصات ، التى
ظهرت على وجهه ، وعاد (وجدى) يلح عليه فى سؤاله
قائلاً :

— قل لى .. لماذا أخفيت عنا الحقيقة كل هذه السنين ؟ لماذا
تركنا نكرهك ؟ .. ولماذا تركتني أتعامل معك بكل هذا العقوق
بالرغم من كل ما فعلته من أجلى ؟
أجابه (منصور) :

— لأننى خشيت أن تظنوا أن هذه النقود ، التى أنفقتها من
أجلكم ، من الاتجار بالمخدرات ..

كنت أعرف أنكم لن تصدقونى ، حينما أقول لكم إن هذه
الأموال قد حصلت عليها عن طريق حلال تماماً ، فبعد خروجى
من السجن سافرت إلى (السعودية) ، وعملت فى خدمة أحد
الأمراء هناك .. خدمته بكل إخلاص ووفاء .. حتى صرت
أقرب إليه من أخيه ، وعندما مات الرجل ورثنى جزءاً من

ثروته ، فعدت بها إلى (القاهرة) وقررت أن أستغلها فى
رعايتكما ، وتعويضكما عن تقصيرى فى القيام بمسئوليتى كأب
وزوج ..

تبعث أخباركم ، واستطعت الاتصال بخالك بوسيلة ما ،
حينما علمت أنه ينوى بيع مصنعه ، الذى عينك للعمل فيه ،
وقدّمت له المساعدة اللازمة لإنقاذ المصنع من الإفلاس ، ثم
اشتريت منه المصنع ، بعد أن اتفقنا على إخفاء هذا الأمر ، وأن
يبقى فى الظاهر المالك الفعلى للمصنع ، الذى سرعان ما
تمكنت ، بمساعدة جهود خالك وأموالى ، من تحويله إلى
مؤسسة كبيرة ، وكنت أعرف أن ذلك كله سينول إليك وإلى
أختك فى النهاية ، وما دمت قد عرفت الحقيقة ، فقد أودعت
كل ما تبقى لدى من مال باسم ابنك وأبناء (فاطمة) فى أحد
البنوك ، وكنت سأكلف أحد الأشخاص تسليمها إليك بعد
موتى ، لكن يمكنك أن تأخذ الشيكات الآن ، ما دمت موجوداً
هنا .

قال (وجدى) غير مصدق :
— ولكن لماذا لم يخبرنا خالى بذلك ؟
منصور :

— لأننى جعلته يقسم على القرآن أمامى ، بأن يبقى ذلك
السـر خفياً بيننا ، ولا يخبر به أحداً مدى الحياة ، كما أجبرته على
أن يقسم أمامى بالآلا يخبر أى مخلوق عن وجودى ، أو لقائى به .
وتنهـد (وجدى) ، قائلاً :

— والآن فهمت السـر فى تبدل موقفه منك ، خلال
السنوات الأخيرة ، وكيف كان يقول لأمى دائماً أن تتذكرى
بالخير ، وألا تظلمك فى حكمها عليك ، وعندما كانت تسأله
عن السـر فى تحوله هذا كان يلوذ بالصمت . ولكن لا يمكن أن
تكون قد أخفيت عنا وجودك ، وكل ما قدمته من أجلنا ، خشية
أن نظن أنها أموال جاءت عن طريق المخدرات فقط .. فقد كان
يمكنك أن تحاورنا ، وأن تثبت لنا حقيقة المصدر ، الذى جاءت
منه هذه النقود .

منصور :

— لست خشيتى من ألا تصدقواى فقط ، هى التى جعلتنى
أخفى الحقيقة عنكم ، ولكن ماضى الذى لا يشرف أيضاً ..
لقد وضعت ذلك فى تقديرى ، وكنت أعرف أن ظهورى فى
حياتك ، وأنا أحمل على أكتافى ذلك الماضى ، سيتسبب فى
الإضرار بمستقبلك ومكانتك التى وصلت إليها ، كما يلحق
الضرر بأختك وأبنائها ..

* * * * * ١٦٢ * * * * *

وعندما جئت إليك فى (بورسعيد) ، تعمّدت أن أبدو
أمامك صعلوكاً متشرذاً ، جاء يبحث لنفسه فقط عن مأوى
وعمل ، حتى أكون قريباً منك ومن أختك ، وكنت مقتنعاً قبلك
بأن يظل وجودى وحقيقتى سراً خفياً ، فلم أكن أريد سوى
أن أكون قريباً منكما ، وأن أنعم بصحبتكما فى أيامى الأخيرة ،
وقبل أن أفارق الحياة .

قال (وجدى) بقلق :

— تفارق الحياة ؟! .. ماذا يعنى هذا ؟

قال (منصور) سريعاً ، وهو يحاول معالجة زلة لسانه :

— أعنى أنه لم يبق فى العمر مثل ما مضى .. لقد تقدمت

فى السن كما ترى ، ومن يدري ؟

وفوجئ بابه يخبر أمامه على الأرض ، جاثياً على ركبتيه ، وقد
أمسك يديه ليقبلهما فى حرارة ، قائلاً :

سامحنى يا أبى .

ابتسم الأب ابتسامة صافيه ، مردّداً :

— أبى .. إنها المرة الأولى التى أسمعها منك منذ سنوات

طويلة .

انهال (وجدى) تقيلاً ليدى أبيه وركبتيه ، قائلاً :

* * * * * ١٦٣ * * * * *

— إنك أعظم أب في الوجود ، فقد أقدمت على الكثير من
الضحيات ، في الوقت الذي قابلت أنا فيه كل ذلك بمنتهى
العقوق والجحود . إننى لن أغفر لنفسي أبدا .
رفع الأب وجه ابنه إليه ، قائلاً :

— لا تحمّل نفسك أكثر مما تحتمل فكل منا أخطأ في حق
الآخر ، وقد نسيت كل شيء الآن ، وأنا لم أكن أريد منك سوى
هذا العطف والحنان ، الذى أراه منك الآن .

قال (وجدى) :

— أما أنا فلن أسامح نفسي ؛ لأننى ...

قاطع الأب ، وهو يساعده على النهوض ، قائلاً والابتسامة
على وجهه :

— ما رأيك لو أعد لك بعض الحلوى الشرقية ، التى كنت
تحبها من يدي وأنت طفل صغير ؟

وضحك (وجدى) ، وقال :

— أوافق .. ولكن بشرط أن تعدها لى هناك ، فى
(بورسعيد) فى منزلى .

تراجع الأب فى مقعده ، وبدت على وجهه ملامح الرفض ،
قائلاً :

— (بورسعيد) ؟!.. لكننى لن أستطيع أن أعود معك .

قال (وجدى) بإصرار :

— لماذا يا أبى ؟ لقد جئت إلى هنا لأعود بك .. لم يعد هناك
ما نحرص على إخفائه .. لقد قلت الحقيقة للجميع لزوجتى
وأختى ولكل الذين يعرفوننا فى (بورسعيد) .

قال له الأب ، وقد بدا مدعوراً :

— لماذا فعلت ذلك ؟

وجدى :

— لأن هذا هو ما كان يجب أن يحدث منذ البداية .. إنك
أبى ، ويجب أن يعلم الجميع بذلك ، والآن أنا أكثر الأبناء فخراً
بك .

ترقرقت الدموع فى عيني الأب ، وهو يقول :

— ولكن يا بنى .. أنا ..

قاطع (وجدى) متوسلاً ، وهو يقول :

— أرجوك يا أبى عد معى .. إن (فاطمة) والأولاد
وزوجتى والجميع فى انتظارك .. عد يا أبى .. عد .

مرت ثلاثة أيام على وجود (منصور الدهشورى) فى منزل
ابنه ، لم يتركه الجميع خلالها لحظة واحدة ، إلا تلك الساعات ،

التي يقضيها في النوم ، فقد أصبح محاطا ليلا ونهارا بابنته وزوجها ، وابنه وزوجته وأحفاده .. أحاطه الجميع بحبهم وحنانهم ورعايتهم ، وكأنهم يعوضونه ويعوضون أنفسهم عن كل سنوات الفراق ، وكل ما حرم منه من حب وحنان .. وكان (منصور) حريصا خلال تلك الأيام على إخفاء آلامه وحقيقة مرضه عنهم ، إذ كان يهرع إلى غرفته مخفيا عن الأنظار ، كلما شعر بذلك الوحش الذي لا يرحم ، وهو يهاجمه لينهش أمعائه ..

وفي إحدى الأمسيات ، وبينما كان جالسا أمام التلفزيون ، وقد تعلق (فاطمة) بذراعه ، وأحاط به أحفاده من كل جانب ، يداعبونه ويداعبهم ، وبينما جلس (وجدى) على الأرض إلى جواره ، وأحاط زوجته بإحدى ذراعيه ، إذا به يستشعر ذلك الألم وقد هاجمه من جديد ، وعلى نحو أكثر قسوة ، فتخلص من يدي ابنته قائلا وهو يحاول إخفاء آلامه :

— لقد سهرت اليوم أكثر مما يجب .. سأوى الآن إلى غرفتي .

قالت (فاطمة) محتجة :

— الوقت ما زال مبكرا يا أبى .

أجابها ، وهو يتحامل على نفسه :

— سامحيني يا بنيتى .. فإني أشعر بحاجة إلى النوم ..
تصبحون على خير .

وأحسن (وجدى) بشيء من القلق تجاه أبيه ، فنهض ليلحق به قبل أن يصعد إلى غرفته قائلا :

— هل تشعر بشيء يا أبى ؟

ابتسم الأب ، برغم آلامه المائلة ، قائلا :

— لا .. لا شيء .. لا تقلق فأنا فقط بحاجة إلى النوم ..

هيا عد لزوجتك ..

ولكن (وجدى) لم يتخلص من قلقه ، وهو يقول :

— هل أصحبك إلى غرفتك ؟

ظل الأب محتفظا بابتسامته ، وهو يقول :

— لماذا يا ولدى ؟ هل سأضل الطريق إليها ؟ .. إن أباك

لم يصل إلى هذه الدرجة من الكبر .. هيا عد إليهم ، حتى لا تثير قلقهم .

وتحرك (وجدى) عائدا بخطوات مترددة ، في حين أخذ الأب يتحامل على نفسه ، وهو يصعد في درجات السلم ، ويحسن بألم لا يطاق في أحشائه .

كان يريد أن يصل إلى غرفته ، قبل أن يلحظ أحد الآمه
المضنية ، لكن قدميه لم تساعداه ، فقبل أن يصعد الدرجتين
الأخيرتين من السلم الخشبي ، أحسن برجفة تسرى في كل
أوصاله فنادى ابنه قائلاً :

— (وجدى) :

هرع الابن ليتلقف أباه ، الذى هوى بين ذراعيه ، وقد
أصابه الذعر هاتفاً :

— أبى ما الذى حدث ؟

قال أبوه وهو يزدد لعابه ، وقد بدا الألم رهيباً على وجهه :

— هناك حقيقة أخيرة أخفيت عنها .. وأن لك أن

تعرفها .. إننى أموت يا بنى .

كاد (وجدى) يصرخ وهو يقول :

— ماذا ؟

لكن (منصور) وضع يده على فم ابنه قائلاً :

— لا تثر انتباه الآخرين .. احملنى إلى فراشى أولاً .

وحمل وجدى أباه إلى غرفته ، حيث أرقده على الفراش .

وهو يحثو إلى جواره ، وقال الأب ، وقد اختفت ملامح التقلص

من على وجهه لتحل محلها ملامح الارتياح :

* * * * * ١٦٨ * * * * *

— الحمد لله .. أننى وجدت ذراعاك لتحملانى ، فى
اللحظة التى أحتاج إليها .

وتدفقت الدموع من عيني الابن المدعور ، وهو يقول :

— أبى ... ما نوع هذا المرض ؟ ومتى أصبت به ؟

قال الأب :

منذ سنتين تقريباً .. لم أشعر بخطورته وقسوته فى البداية .

لكنه سرعان ما تمكن منى ، وبدأ يصارعنى صراعاً لا هوادة

فيه ، ولكنى لا أشعر الآن أنه قد انتصر على ، فلم يكن الموت

هو ما يخيفنى حقاً ؟ لكننى كنت بحاجة فقط لكى أعوض

سنوات الحرمان التى عانيت بها بعيداً عنك وعن أختك .. كنت

بحاجة لحبكما ووجودكما بقربى ، وهذا هو سبب مجيئى إلى هنا ..

وكنت أخاف أن أفارق الدنيا وأنما ناقدان على ، دون أن

تعرفا كم أحبكما ، وكم تعذبت لفراقكما ...

والحمد لله .. لقد قضيت الأيام الأخيرة محاطاً بكل الحب

والحنان ، الذى افتقدته وتمنيته .. واستطعت أنت وأختك

وزوجتك وزج أختك وأولئك الأحفاد الأشقياء أن تعوضونى

فى تلك الأيام القليلة ، عن كل حرمان السنين ، والفضل فى هذا

يرجع إليك ، فشكراً لك يا بنى .. شكراً لك ؛ لأنك أسعدت

أباك العجوز فى أيامه الأخيرة ، وجعلته يفارق هذه الدنيا ،

وعلى وجهه ابتسامة .. والآن مرحباً بالموت .

* * * * * ١٦٩ * * * * *

أنهمرت دموع الابن في غزارة ، قائلاً :

— أبى .. لا تقل هذا .. ما زال أمامنا الكثير من الأيام
والشهور والسنين لنعوّضها .. ما زلنا بحاجة إليك .. نعم نحن
بحاجة إليك أكثر من حاجتك إلينا فلا تقل هذا .. ولا تفارقنا ..
ما زال لدى الكثير لأقوله لك وتقوله لى .. ما زلت بحاجة
لحبك وحنانك ورعايتك ، أكثر مما أحتجت إليه وأنا طفل
صغير .. فلا تتركنى .

وامتدت يد الأب تتحسّس قسّات وجه ابنه ، وعلى وجهه
تلك الابتسامة الصافية ، إلا أنها لم تلبث أن تهاوت إلى جانبه
بلا حراك ، وتجمدت معها الدموع في عيني (وجدى) ..
حتى الدموع عجزت عن أن تعبر عن أحزانه في هذه
اللحظة .

لقد حرم من أبيه طويلاً .. وكان لقاءه معه قصيراً ، لم
يستطع أن يمنحه كل ما أراد أن يمنحه إياه من حب ، تكفيراً
عن ذنبه في حقه ، وإظهاراً لذلك الحب الدفين في أعماقه ،
بالرغم من الصورة الظالمة ، التي انطبعت في ذهنه عنه ، كما لم
يستطع أن يحصل منه على التعويض الكافى لحرمانه منه ، كل هذه
السنين .

لم تكن نقوده هي التي يحتاج إليها ، ولا المنصب الذى وصل
إليه ، وامتلاكه لكل تلك الثروة التي تحت يديه ، والتي كان
لأبيه فضل كبير في امتلاكه لها .. بل كانت حاجته الحقيقية ،
التي كشفها خلال الأيام الأخيرة ، هي وجوده إلى جواره ..
نعم .. لقد كشف أنه يحب أباه أكثر من أى شيء آخر .. بل
إنه كان مستعداً للتضحية بكل ما يملك ، مقابل أن يبقى معه
وإلى جواره ، ولو لعام واحد فقط ..

ولكن هكذا كانت مشيئة الله ، واختار القدر أن يكون
فراقهما طويلاً ، ولقاؤهما قصيراً ، في اللحظة التي كشف فيها
(وجدى) كل هذا الحب ، الكامن في أعماقه نحو أبيه .
وجذب (وجدى) الغطاء ؛ ليسدله على وجه أبيه قائلاً :
— وداعاً .. وداعاً يا أبى الحبيب .
وترك لدموعه العنان .

[تمت بحمد الله]

المؤلف



أ. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

أبي الحبيب

فرّق القدر بين (وجدى)
وأبيه فراقاً طويلاً
مفعماً بالحزن والمرارة .
وعندما التقيا تفجّرت كل ينابيع الحب في
قلبيهما ، ولكن القدر لم يعهلهما طويلاً .
إذ جاء اللقاء قصيراً ، قاصراً عن
تعويض كل سنوات الفراق ..

٤٢